شرائح مقدسية

KONRAD ADENAUER STIFTUNG
PALESTINIAN TERRITORIES

الرؤيا الفلسطينية
PALESTINIAN VISION

شرائح مقدسية

إعداد

أحمد الأسمر

إشراف

د. يحيى حجازي

تدقيق لغوي

سماح ناصر الدين

تصميم

قاسم طوبال

صورة الغلاف

عاهد ازحيمان

KONRAD ADENAUER STIFTUNG
PALESTINIAN TERRITORIES

الرؤيا الفلسطينية
PALESTINIAN VISION

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة الرؤيا الفلسطينية ©
2020

محتويات البحث

توطئة 3

ملخص البحث 4

المقدمة 5

لمحة عن القدس 5
أهداف البحث 6
الإطار النظري 6
أسئلة البحث 8
منهجية البحث 8
مجموعات البحث 8

الفصل الأول (المسيحيون في القدس: مشاكل وتحديات) 9

الخلفية النظرية 10
المقدمة 10
أهمية المسيحية في القدس 10
مشكلة البحث 10
أهداف البحث 11
طريقة البحث 11
التحديات أثناء البحث 11
الطوائف المسيحية في القدس - خلفية تاريخية 11
الروم الأرثوذكس 12
طائفة الكاثوليك (اللاتين) 12
الروم الملكيون الكاثوليك 13
طائفة السريان 13
طائفة الأرمن 14
الديمغرافيا والجغرافيا 15
التعليم 17
الاقتصاد 18
السكن 19
النتائج والنقاش 20
الهوية 20

21 التأثير الغربي
22 تأثير الاحتلال الإسرائيلي
23 الهوية لدى طائفة الأرمن
24 المشاكل والتحديات
25 انخفاض أعداد المسيحيين
25 العوامل السياسية:
25 العوامل الديمغرافية:
26 الهجرة
27 فصل مسيحيي القدس عن عمقهم وتقييد حركتهم
27 تحول الصراع وغياب التاريخ المسيحي
28 التمييز
29 العزلة
30 الصراع بين الطوائف المسيحية
31 ضعف الرابط الديني لدى الشباب المسيحي
32 الاستنتاج العام للبحث
32 آليات وحلول مقترحة

34 الفصل الثاني (غجر القدس: الهوية والتحديات)

35 المقدمة
35 مشكلة البحث
36 أهداف البحث
36 منهجية البحث:
36 محدوديات البحث:
37 الخلفية النظرية:
37 مقدمة
42 النتائج والنقاش
42 الهوية العرقية الثقافية
44 الهوية الوطنية:
46 القضايا والتحديات التي تواجهها عشيرة الغجر في مدينة القدس
54 الاستنتاج العام للبحث
54 آليات وحلول مقترحة

56 الفصل الثالث (الجالية الافريقية في القدس)

57 المقدمة
58 مشكلة البحث
58 أهداف البحث
58 منهجية البحث:
58 محدوديات البحث:
58 الخلفية النظرية
58 مقدمة:
58 الإسلام وإفريقيا
59 الأفارقة المسلمون في القدس
95 التسمية والألقاب
60 الطريق إلى القدس
61 في القدس
63 الثقافة والمجتمع
64 اللغة
64 مؤسسات المجتمع المدني للجالية
65 النتائج والنقاش
65 الهوية
66 الهوية الفلسطينية
67 المشاكل والتحديات
67 تضييقات الاحتلال
68 الاضطهاد
68 الحرمان من الجواز السفر الأردني
69 الفقر
69 انخفاض مستوى التعليم
70 الضائقة السكنية
71 الاستنتاج العام للبحث
73 آليات وحلول مقترحة

توطئة

تعمل مؤسسة الرؤيا الفلسطينية ومنذ العام 1998 مع الشباب الفلسطيني في سبيل ترسيخ الهوية الجمعية الفلسطينية، وتسعى عبر برامجها ومشاريعها المختلفة إلى جسر الهوة بين الفلسطيني ومجتمعه، وعبر سنوات خبرتها الطويلة وجدت الرؤيا الفلسطينية أن الإبهام جزء لا يتجزأ من ضياع الهوية وأن المعرفة مفتاح القوة، لذا دأبت المؤسسة على إعداد الأبحاث والدراسات وأوراق الحقائق التي تتحدث بشكل مفصل عن المجتمع الفلسطيني، ومكونات هويته، وطرق وأساليب ترسيخها بين الشباب.

وعلى الرغم من الباع الطويل للمؤسسة في هذا النطاق إلا أن شُح المعلومات ما زال مشكلة قائمة تواجه الباحثين، خاصة عند الحديث عن الشرائح الفلسطينية المختلفة، وذلك لتميّز المجتمع الفلسطيني بشكل عام بالتعددية والتنوع الديني والعرقي، وكلما تعمقنا في البحث أكثر ازدادت الأمور صعوبة والمعلومات شحّا، مما أوقعنا في كثير من الأحيان في فخ الصورة النمطية عن الآخر، والتي تشكلت نتاج الجهل أحياناً بألوان طيف هذه المدينة.

لذا ارتأت مؤسسة الرؤيا الفلسطينية قرع الخزان، والعمل بشكل علمي ممنهج من أجل زيادة الحصيلة المعلوماتية عن العناصر المكوِّنة للشرائح الفلسطينية، وتحديدا في ظل الشَّرذَمة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، وعدم وضوح البوصلة وعناصر الهوية، وذلك للمساهمة في رفع مستوى الفهم لآليات حماية وترسيخ الهوية الفلسطينية، والتعرف على التحديات التي يواجهها الفلسطينيون، ومحاولة طرح اقتراحات للتعامل معها. ويأتي هذا البحث ضمن مشروع «شرائح المدينة» المُموّل من قبل مؤسسة كونراد أديناور الألمانية.

ملخص البحث

يقوم البحث الحالي بتسليط الضوء على التنوع الإنساني الذي يمتاز به المجتمع المقدسي الفلسطيني، وذلك من خلال التركيز على شرائح كونت الفسيفساء المقدسي القائم اليوم، إذ أن الملفت للنظر أن العديد من أبناء القدس لا يعرفون الكثير عن ثقافة ولغة وتاريخ تلك الشرائح المساهمة في تكوين مجتمعهم، ولا عن التحديات التي يواجهونها يوميا؛ لذا ارتأينا أن نقوم بالتعريف بثلاث شرائح ساهمت في تشكيل التاريخ الإنساني والثقافي والوطني للمدينة المقدسة، وهي: مسيحيو المدينة، وعشيرة الغجر والجالية الإفريقية. يعود سبب اختيارنا لهذه الشرائح إلى حاجتنا نحن –المقدسيين- إلى التعرف على حجارة هذا البيت بصورة أفضل، خاصة في ظل المعلومات القليلة المتوفرة عنها، والتي لا تتطرق لها المناهج الدراسية غالبا، كما أردنا في هذا البحث أن نتعرف على مراحل تشكل الهوية الثقافية والوطنية لتلك الشرائح، والتحديات الحياتية التي يعانون منها بصفتهم مقدسيين.

من أجل تحقيق هذا الهدف، تمت قراءة مصادر ومراجع تاريخية، وإجراء مقابلات مع شخصيات مفتاحية مقدسية تنتمي لتلك الشرائح، وعمل مجموعة من المقابلات الفردية مع شباب وشابات من تلك الشرائح، والمقابلات الجماعية للتعرف على تشكل الهوية الثقافية والوطنية لديهم، ولتحديد التحديات التي تواجههم وأسبابها من وجهة نظرهم.

أظهرت نتائج البحث بأن الوضع السياسي للمدينة منذ القدم إلى يومنا هذا لم يرحم أيّا من أبناء هذه المدينة، فمجتمع البحث يعاني مثل الجميع من التمييز السياسي الممنهج ضده، كما يعاني من سوء الأحوال المعيشية كالعيش في مساكن ضيقة، وتحمل ظروف اقتصادية صعبة حيث يقبع معظمهم تحت خط الفقر. وخلال الرحلة الطويلة التي قامت بها هذه الشرائح تشكلت هويات مركبة يبرز فيها اللون الفلسطيني. وأظهرت النتائج أن بعضهم لا يستطيع الانخراط في سوق العمل أو في الحياة الاجتماعية، إما كعقاب نتيجة مقاومتهم الاحتلال أو بسبب قلة قدرتهم على التنافس على فرص العمل، وأحياناً نتيجة سياسة سلطات الاحتلال، وأحياناً أخرى نتيجة التهميش الداخلي المرتبط ببعض المواقف المجتمعية المجحفة. وأظهرت النتائج أيضاً أن تحديات هذه الشرائح هي أكبر بكثير من غيرها، الأمر الذي قد يفسر اختبار أبناء وبنات تلك الشرائح لاستراتيجيات تثاقف تساعدهم على التكيف مع الأوضاع الصعبة التي يعيشونها، وتتراوح استراتيجيات التثاقف تلك، بحسب رأي المشاركين والمشاركات في البحث بين الانغلاق أحياناً والاندماج والمشاركة أحياناً أخرى. وسنعرض في بحثنا هذا مجموعة من المقترحات قد تساعد في التخفيف من عبء التحديات التي تواجهها تلك الشرائح، وتساهم في تقوية صمود أبنائها وبناتها، وتعزز من هويتهم الوطنية الفلسطينية.

المقدمة

منذ فجر التاريخ والقدس تحتضن سكانها والعابرين بها على حد سواء، ومنذ أن بناها اليبوسيون الذين تعود أصولهم إلى القبائل الكنعانية عام 3000 قبل الميلاد [1] وإلى يومنا هذا ما زالت القدس تمر بأحداث تاريخية جسام، وصراعات بين مجموعات وطوائف مختلفة، وما زالت هذه المدينة تزخر بعبق القداسة الجليّ في سورها ومساجدها وكنائسها ومعابدها وأروقتها وأحيائها وأزقتها،عبق لا يكتمل سحره إلا بوجود أبنائها وبناتها الذين ساهموا في بنائها على مر العصور.

تعاقبت الشعوب ذات الأعراق والأجناس والثقافات المتنوعة على هذه المدينة، وعاشت وساهمت معها في خلق تنوع ثقافي وفكري، ومن الأدلة على ذلك ما كتبه العارف في وصفها عام 1947 حينما قال: «في القدس 205 مدرسة لمختلف الأجناس والعناصر والأديان».[2] ففي البلدة القديمة الموجودة داخل السور، تتركز غالبية السكان في السابق. نجد الثلاث أديان: المسيحية والإسلامية واليهودية، ونجد تحت كل ديانة طوائف وفرق ومساجد وكنائس وكنس ومدارس وزوايا ومستشفيات وتكايا ومكتبات وأوقاف وحدائق وحوانيت، نجد فيها أناس جاؤوا في الماضي من جميع أصقاع الأرض ليقطنوا فيها. «

لمحة عن القدس

القدس مدينة جبلية تقع بين البحر الميت من الشرق وتبعد عنه 18 ميلا، وغربها يقع البحر الأبيض المتوسط من الشرق والذي يبعد عنها 32 ميلا، وترتفع المدينة 3800 قدم عن سطح البحر الميت في حين ترتفع 2500 قدم عن سطح البحر الأبيض المتوسط. [3]

تقسم القدس إلى قسمين، القدس الجديدة والقدس القديمة ويفصل بينهما سور، أما القدس القديمة أو البلدة القديمة فمساحتها 868 دونما، وأما القدس الجديدة فكانت مساحتها في العام 1947 تصل إلى 18,463 دونما وفي ذات العام كان يمتلك العرب فيها 11,191 دونما في حين يمتلك اليهود 4,835 دونما، وكانت باقي الأراضي عبارة عن طرق وميادين عامة. توسعت حدود المدينة بشكل كبير بعد حرب عام 1967 وذلك بعد ضم 70 ألف متر، وكان الضم يهدف إلى زيادة أكبر قدر من الأراضي مع أقل عدد من السكان الفلسطينيين. [4] وذلك للتوسع الاستيطاني لاحقاً، أما اليوم وبحسب العام 2019 فتصل مساحة المدينة إلى 126 ألف دونم.[5]

وصل عدد السكان في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1947 إلى 164,500 نسمة وكان توزيعهم كالآتي: في البلدة القديمة كان يعيش 33,600 من العرب في مقابل 2,400 من اليهود، بينما في الجزء العربي من البلدة الجديدة كان يعيش 30,000 من العرب في حين كان يعيش 9,000 من اليهود، أما في الجزء اليهودي من البلدة الجديدة فقط كان يعيش من 1,500 من السكان العرب بينما كان يعيش 88,000 من اليهود. أي أن مجموع السكان العرب عشية النكبة كان يقارب 65 ألف في المدينة بينما كان اليهود يزيدون عنهم ووصلوا إلى أكثر من 99 ألف من السكان. [6]

1 عارف، العارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس، الطبعة الخامسة 1999، ص1.

2 ذات المصدر، ص 444.

3 ذات المصدر، ص 430.

4 Tsimhoni, pp. 21-22.

5 https://jerusaleminstitute.org.il/wp-content/uploads/2020/04/shnaton_A0120.pdf

6 ذات المصدر.

ويصل عدد سكان مدينة القدس اليوم (2020) إلى 919.400 ألف من بينهم 349.600 ألف من الفلسطينيين العرب أي ما نسبته 38% من مجمل سكان المدينة و 569.900 ألف من السكان اليهود أي ما نسبته 62%.[7]

على الرغم من أن العرب الفلسطينيين يرزحون تحت الاحتلال ويعيشون كأقلية سياسية وديمغرافية، إلا أن داخل هذه الأقلية شرائح ومجموعات متعددة ومختلفة كذلك، عاشت في المدينة على مر العصور لخصوصيتها الدينية في الأساس. وسيقوم البحث بالتطرق لثلاث شرائح من ضمن الشرائح المقدسية والمجموعات في المدينة، هي: المسيحيون المقدسيون، عشيرة الغجر الدوم، والجالية الإفريقية المسلمة، وهي شرائح ساهمت في الغنى الثقافي والإثني والديني الذي تتمتع به مدينة القدس.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على ثلاث شرائح تعيش في مدينة القدس وهي: مسيحيو المدينة على اختلاف طوائفهم، عشيرة الغجر الدوم، والجالية الإفريقية المسلمة. ويقسم البحث إلى محورين رئيسين، الأول: عرض ونقاش الهوية الجماعية وتاريخ كل من هذه المجموعات الثلاث، وطريقة تعريفهم لأنفسهم داخل السياق المقدسي الفلسطيني، أما المحور الثاني فهو التطرق للمشاكل والتحديات التي تعاني منها المجموعات الثلاث، ومحاولة ايجاد ما يقف وراء هذه المشاكل وطرح الحلول لها.

الإطار النظري

يعتمد البحث على نظريات تعنى بشؤون الهوية والعلاقات بين المجموعات، وتم الاعتماد على ثلاث نظريات أساسية:

1. نظرية التثاقف (acculturation theory) والتي تنسب للأخصائي النفسي جون بيري، وحسبها يتعين على أفراد المجموعات التي تنتمي لأقليات تحديد وإعادة تعريف هويتهم، وذلك ضمن النسيج الاجتماعي الذي يعيشون فيه والقيام بالتكيف النفسي والاجتماعي وفقا للتغيرات التي تحصل لهم. فخلال لقاء المجموعتين (الأقلية والأكثرية) بحسب النظرية، قد يؤدي ذلك إلى إكتساب الأقلية جزءا من ثقافة الأكثرية وقد تتأثر بها غالباً. وبحسب بيري فإن هذا اللقاء قد يثير بعض التساؤلات الوجودية مثل: هل يجب الحفاظ على الهوية الأصلية؟ وهل يجب الاختلاط مع أفراد مجتمع الأكثرية والمشاركة معهم بالحياة الاجتماعية أم لا؟

   ونتاج تلك التساؤلات، أن كل فرد أو جماعة يستعينون بواحدة أو أكثر من أربع استراتيجيات مختلفة للتكيف اقترحها بيري: أولها: استراتيجية الاندماج، والتي من خلالها تندمج فيها الأقلية بالأكثرية وتكتسب جزءا من ثقافتها، ولكنها تستمر بالحفاظ على جزء من سماتها ومميزاتها داخل المجتمع، ويؤدي هذا الاندماج إلى التعددية الثقافية لدى المجموعة. الاستراتيجية الثانية: استراتيجية الانفصال أو الانعزال، وذلك يكون من خلال رفض الأقلية ثقافة الأغلبية والنأي بنفسها عن الأكثرية والحفاظ على ثقافتها الأصلية. أما الاستراتيجية الثالثة: فهي استراتيجية الذوبان أو الانخراط الكامل، وفي هذه الحالة تتخلى الأقلية عن ثقافتها الأصلية بصورة تامة راغبة بأن تكون متشابهة مع مجموعة الأغلبية، الأمر الذي يؤدي إلى ذوبانها داخل المجتمع دون أن يبقى هناك جزء من ثقافتها الأصلية وبالتالي فقدانها لهويتها الأصلية بشكل كامل، أما الاستراتيجية الرابعة فهي استراتيجية التهميش، وفيها يرفض أفراد مجموعة الأقلية ثقافتهم الأصلية ويرفضون أيضا ثقافة الأغلبية.[8]

7 https://jerusaleminstitute.org.il/wp-content/uploads/2020/04/shnaton_C0120.pdf

8 John W, Berry, "Immigration, acculturation, and adaptation." Applied psychology 46, no. 1 1997, pp. 5-34.

2. نظريـة الهويـة الاجتماعيـة (Social identity theory) لعالـم النفـس الاجتماعـي هنـري تاجفـل، وهـي النظريـة القائمـة علـى مفهـوم الفـرد لذاتـه داخـل المنظومـة والنسـيج الاجتماعـي، وتشـرح النظريـة السـلوك والتعامـل بيـن المجموعـات المختلفـة. ويتـم التركيـز فـي هـذا البحـث علـى اسـتراتيجية الانتقـال أو التطـور الفـردي (Individual mobility) والـذي بحسـبه يقـوم الفـرد أو الأفـراد بالانفصـال عـن المجموعـة، بهـدف تحسـين وضعهـم وحالتهـم الشـخصية ولتحقيـق أهـداف فرديـة خاصـة بهـم. [9]

3. النظريـة الثالثـة وهـي الثقافـة المحاصـرة (enclave culture) للمفكـر عمانويـل سـيفان، والتـي تـرى أن هنـاك حـدودا لمجموعـة الأقليـة، وهـذه الأقليـة تعانـي مـن مشـكلة وتهديـد مـن أجـل الحفـاظ علـى هويتهـا وثقافتهـا مـن قبـل الأكثريـة، وذلـك بسـبب قيـام الأفـراد بالهـروب نحـو الأكثريـة بسـبب القـوة الجاذبـة مـن المجتمـع المركـزي (الأكثريـة). وبحسـب النظريـة قـد يحصـل هنـاك خـلاف بيـن أفـراد الأقليـة بسـبب الصـراع علـى الصلاحيـات أو السـلطة. [10]

سـيتم فـي نهايـة كل فصـل مـن الفصـول اقتـراح حلـول للتحديـات التـي تواجههـا كل شـريحة مـن تلـك الشـرائح، وسـيتم عـرض التوصيـات بنـاء علـى النظريـة الايكولوجيـة البيئيـة.

4. النظريـة البيئيـة الاجتماعيـة: تنسـب هـذه النظريـة للعالـم (ecological systems theory) للأخصائـي النفسـي أوري برونفنبرنـر، والتـي تحـاول فهـم العلاقـات بيـن العوامـل الشـخصية والبيئيـة المحيطـة بالفـرد، وتضـع النظريـة الفـرد فـي مركـز الأحـداث ثـم تقسـم مـا يـدور حـول الفـرد داخـل خمـس منظومـات أو دوائـر مختلفـة سـيتطرق البحـث إلـى أربعـة منهـا:

- **المنظومـة المصغـرة (Microsystem):** والتـي تتطـرق للعوامـل المباشـرة التـي تحيـط بالفـرد مثـل العائلـة، المدرسـة، مـكان السـكن.
- **المنظومـة المتوسـطة (Mesosystem):** وهـي العلاقـات بيـن عامليـن علـى الأقـل فـي المنظومـة المصغـرة ومـا ينتـج عنهـا، مثـل تأثيـر العائلـة علـى الطفـل فـي تعاملاتـه داخـل المدرسـة.
- **المنظومـة المحوريـة (Exosystem):** وهـي العوامـل التـي لا يوجـد للفـرد تواصـل مباشـر معهـا لكنـه يتأثـر بهـا.
- **المنظومـة الكبيـرة (Macrosystem):** وهـي العوامـل الموجـودة علـى مسـتوى الجماعـة التـي يعيـش بداخلهـا الفـرد مثـل الثقافـة أو الديانـة. [11]

وعلـى أسـاس هـذه النظريـات سـتتم مناقشـة هويـة المجموعـات التـي يتناولهـا البحـث، وفهـم المشـاكل التـي يواجهونهـا علـى الأصعـدة المختلفـة، وبنـاء علـى ذلـك سـتتم مناقشـة حلـول مختلفـة لهـذه المشـاكل علـى المسـتويات المختلفـة.

9 Henri, Tajfel,"Social identity and intergroup behaviour." Information (International Social Science Council) 13, no. 2 (1974): 65-93.

10 Emmanuel, Sivan, The enclave culture, 1995, pp.11-68.

11 Urie, Bronfenbrenner, The Ecology of Human Development: Experiments by Nature and Design. Harvard University Press, 1979.

أسئلة البحث

يدور البحث حول الأسئلة الآتية:

- كيف تعرف هذه الشرائح نفسها؟ وما هي هويتها الجماعية؟
- ما مدى اندماج هذه الشرائح (المسيحيين، الجالية الإفريقية والغجر) داخل المجتمع المقدسي، بحسب تقديرهم؟
- ما هي التحديات الحياتية التي تواجه هذه الشرائح، وما هي أسبابها؟

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهجية البحثية النوعية، وهدفها استكشافي بالأساس، نرغب من خلاله التعرف على تلك الشرائح من الداخل، وسيتطرق البحث إلى تلك الشرائح تاريخيا من خلال المصادر المتوفرة، وسيتطرق لقضية الهوية والتحديات من وجهة النظر والآراء المختلفة للأفراد الذين شاركوا في البحث، وسيتم التحليل بناء على النظريات التي ذُكرت آنفاً. بكلمات أخرى، سيعتمد البحث على جمع المعلومات من خلال المصادر والمراجع المتوفرة حول كل أقلية، بالإضافة إلى المقابلات النصف مبنية مع أفراد من هذه المجموعات، والمجموعات البؤرية.

مجموعات البحث

المسيحيون: تم إجراء عشر مقابلات مختلفة، بالإضافة إلى أربع مجموعات بؤرية، إحداهما مجموعة بؤرية خاصة بطائفة الأرمن، واشترك في هذه المجموعات 29 مشتركا ومشتركة.

الغجر الدوم: تم إجراء ثماني مقابلات بالإضافة إلى مجموعتين بؤريتين إحداها للذكور وأخرى للإناث، وذلك بسبب محافظة غالبية أبناء العشيرة والامتناع عن الاختلاط بين الجنسين، واشترك في المجموعتين 13 مشتركا ومشتركة.

الجالية الافريقية: تم إجراء ست مقابلات شخصية، وتم الاعتماد في البحث على أربع دراسات مختلفة من أبناء الجالية.

تراوحت أعمار المشاركين بين 70-19، وجميع المقابلات والمجموعات البؤرية أجريت باللغة العربية، ما عدا المجموعة البؤرية مع طائفة الأرمن أجريت باللغة الانجليزية.

الفصل الأول

المسيحيون في القدس: مشاكل وتحديات

الخلفية النظرية

المقدمة

تعد فلسطين مهد الديانات السماوية الثلاث، والمسيحية إحدى هذه الديانات، ففيها مهد السيد المسيح وقيامته، أرض مقدسة مر وعاش فيها الكثير من القديسين ورجال ونساء الدين المسيحي، الذين أطلقت أسماؤهم على العديد من الأماكن والكنائس من شمال البلاد إلى جنوبها. وتظل فلسطين محط أنظار أكثر من ملياري مسيحي حول العالم، ووجودهم فيها لا يقتصر على وجود الأماكن الدينية والكنائس والأضرحة، بل يبرز في مساهمتهم في بناء تراثها العربي عامة، والفلسطيني خاصة. (ويعود سبب انخفاض الزائرين المسلمين إلى عدم إقامة غالبية الدول الإسلامية علاقات مع دولة الاحتلال على عكس الدول الغربية التي يدين غالبية سكانها بالديانة المسيحية)

لقد توطن مسيحيو الشرق في مدينة القدس أهم المدن الفلسطينية، التي تضم بين ثناياها ميراثا وتاريخا مسيحيا مهما. ينتمي مسيحيو القدس إلى طوائف متعددة ويشكلون ما نسبته حوالي 1% من مجموع سكان مدينة القدس.[12] بدأت أعداد المسيحيين المشرقيين الذين يعود وجودهم في هذه الأرض إلى آلاف السنين بالانخفاض شيئاً فشيئاً، وبصورة مقلقة على مر السنين، فالوجود المسيحي في القدس بات مهدداً بسبب التغيرات التي تشهدها المنطقة، الأمر الذي يتطلب من أبناء المدينة –مسحيين ومسلمين-التنبه إليه كخطر يهدد الوجود الفلسطيني في هذه المنطقة، وفي المدينة المقدسة على وجه التحديد.

لا شك بأن الأحداث السياسية التي شهدتها مدينة القدس خلال العقود الأخيرة ساهمت في تضاؤل أعداد المسيحيين في البلاد، ونتيجة لذلك برزت مشاكل متنوعة ومختلفة بين أبناء الطوائف المسيحية المتعددة، بسبب الوضع السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، ومن هنا فالحفاظ على الفرد والمجتمع المسيحي ودعمه هدف مهم من أجل تثبيت وجوده على هذه البقعة المقدسة.

أهمية المسيحية في القدس

أعطت الديانة المسيحية القدس أهمية خاصة، وجعلتها من المدن المعروفة عالميا، يأتيها الحجاج المسيحيون من جميع بقاع الأرض، مما جعلها وعبر قرون طويلة وجهة سياحية لمئات الملايين من الناس حول العالم، وساهم ذلك في انتعاش التجارة في القدس في حقبات كثيرة عبر التاريخ، فالحاج المسيحي لم ينقطع عنها منذ نشأة المسيحية، وذلك عن طريق قوافل الحجاج القادمة إلى البلاد بهدف زيارة الأماكن المقدسة.[13] كما أن أهمية القدس لا تقتصر على البعد الديني، وإنما لها أبعاد حضارية وتاريخية تشدّ مئات ملايين البشر حول العالم إليها، ويمكن التعرف على أهمية القدس لدى الديانة المسيحية من خلال نسبة السيّاح المسيحيين مقارنة مع سيّاح الديانات الأخرى، ففي عام 2018 على سبيل المثال، كانت نسبة السيّاح المسيحيين 63% بينما وصلت نسبة السيّاح اليهود إلى 21% أما نسبتهم من المسلمين فكانت 2% من بين مجموع من زاروا القدس من خارج البلاد.[14]

مشكلة البحث

نحاول في هذا البحث تسليط الضوء على المسيحيين الذين يقطنون في القدس في الفترة

12 George, Akroush, Jerusalem Christian youth, to inregrate or to emigrate, 2019, pp.5.

13 فؤاد، فرح، الحجارة الحية: المسيحيون العرب في الديار المقدسة، 2003، ص 121.

14 مايا، حوشن، عن معطيات القدس 2020، 2020، ص 106.

الحديثة، وسنحاول عرض خلفية أكبر عن الطوائف المسيحية، مع تسليط الضوء على المشاكل التي تواجه المسيحيين في القدس، خاصة المشكلة الديمغرافية وتناقص عددهم في المدينة، إضافة إلى المشاكل السياسية والاجتماعية، وما يقف وراءها كالعلاقات بين المسيحيين أنفسهم، وبين المسلمين والمسيحيين، أو ممارسات ومضايقات الاحتلال، وذلك عبر طرح آليات لحلول تلك المشاكل والتحديات. ولا بد من الإشارة إلى أن الدراسات التي تناولت قضايا المسيحيين في المنطقة عامة والقدس خاصة قليلة، فيأتي هذا البحث الكيفي ليكون إضافة للدراسات في هذا الموضوع. إن انخفاض أعداد المسيحيين في المنطقة بوجه عام وفي مدينة القدس بوجه خاص، يشكل مدخلا مهما للبحث وذلك للتعرف على واقع الحال الذي يدفع بالمسيحيين لهجرة المدينة، كما يساهم البحث في اقتراح حلول قد تساهم في عودة المسيحيين إليها، أوالحفاظ على وجود من تبقى منهم داخل المدينة المقدسة.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى طرح الوضع القائم الذي يعيشه مسيحيو مدينة القدس، من خلال الحديث عن أبرز مناحي الحياة التي يعيشونها، كما سيطرح كذلك موضوع الهوية لدى المسيحيين في المدينة، إضافة إلى عرض التحديات والمشاكل التي يعانون منها في ظل ما تعيشه القدس من صراعات وتجاذبات، ومحاولة عرض لتلك المشاكل وطرح حلول لها.

طريقة البحث

يعتمد البحث على المصادر والمراجع التي تتناول المسيحيين، وأهم الطوائف الموجودة في القدس وتاريخها، ويعتمد كذلك على بعض الأبحاث الحديثة حول المسيحيين، إضافة إلى ذلك يعتمد البحث على المقابلات الشخصية النصف مبنية مع شباب مسيحيين من طوائف وخلفيات مختلفة، إضافة إلى أربع مجموعات بؤرية للمسيحيين، إحدى هذه المجموعات خاصة بطائفة الأرمن.

التحديات أثناء البحث

5. بالرغم من وجود مصادر كثيرة عن المسيحيين، إلا أن غالبية الإحصائيات الخاصة بأعداد المسيحيين غير دقيقة وغير مؤكدة، لذا سنحاول أخذ هذا الأمر بعين الاعتبار.
6. في البداية كان هناك تخوفا حول إمكانية إجراء بحث حول كل طائفة مسيحية على حدة، لكن بعد دراسة الفروقات بين الطوائف، ارتأينا كتابة بحث موحد يتناول جميع الطوائف المسيحية، وذلك بسبب تشابه المشاكل والتحديات بين السكان المسيحيين بغض النظر عن الطائفة التي ينتمون لها، كما أن هذا البحث ليس بحثا تاريخيا في الأساس وإنما الهدف منه عرض المشاكل والتحديات التي تواجه الطائفة.

الطوائف المسيحية في القدس- خلفية تاريخية

مرت الطوائف المسيحية بأحداث وتجاذبات كبيرة غيرت من التركيبة الطائفية لدى المسيحيين في الأرض المقدسة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كانت الطائفة المارونية -والتي تنسب إلى مار مارون الذي عاش في لبنان في القرن الرابع الميلادي- ثاني أكبر طائفة في القدس، خاصة في القرنين السابع والثامن الميلادي، لكن مع مرور الزمن لم يعد لهذه الطائفة وجود كبير في القدس.[15]

15 عارف، العارف، تاريخ القدس، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1951، ص 256.

ويوجد اليوم عشرات الطوائف المسيحية في القدس، لكن سيستعرض هذا البحث فقط الطوائف الأكبر، والتي تشكل أكثر من 95% من مجمل مسيحيي القدس،[16] أما باقي الطوائف فلا يصل رعاياها إلى العشرات، ونسبة ما تشكله من مسيحيي المدينة المقدسة ضئيل جداً.

وعلى الرغم من تعدد الطوائف المسيحية، إلا أن المسيحيين باختلاف طوائفهم يشتركون تقريبا بثقافة متشابهة، ويواجهون ذات المشاكل والهموم، خاصة في مدينة القدس التي لها مكانة وظروف خاصة بها. إن سيطرة إسرائيل عام 1967 على الأماكن المقدسة في مدينتي القدس وبيت لحم أغضب مسيحيي فلسطين والعالم، وكان بمثابة صدمة في العالم المسيحي، كما أنه زاد من مخاوف رؤساء الكنائس المحليين والفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي.[17]

الروم الأرثوذكس

تعني كلمة «أرثوذكس» الرأي المستقيم أو الصائب، ومع مرور الزمن أصبحت ترمز إلى التمسك بالدين الصحيح، كما هو مبين في الكتابات الدينية المسيحية، وعند انفصال الكنيسيتين عن بعضهما البعض (الكاثوليكية والأرثوذكسية) تبنت طائفة الأرثوذكس هذا الاسم، وأطلق على الطائفة الأخرى «الكاثوليك». وبسبب حكم اليونان وزعامتها للكنيسة الشرقية الأرثوذكسية لفترة طويلة، أصبحت كلمة الكنيسة اليونانية مرادفة لكلمة «الأرثوذكسية».[18]

تعد طائفة الروم الأرثوذكس من أعرق الطوائف الموجودة في القدس، وقد كانت سابقا ولمئات السنين أكبر كنيسة من حيث عدد الرعايا، ظهرت الكنيسة في القدس مع بداية ظهور الديانة المسيحية، وكانت الكنيسة الرائدة في المنطقة، لكن مع بدايات القرن العشرين بدأت الكنيسة الأرثوذكسية تفقد الأكثرية لصالح الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية، ففي عام 1922 وصلت نسبة رعايا الروم الأرثوذكس إلى 45.7 % من مجمل مسيحيي فلسطين، كما امتد تواجد رعايا الكنيسة إلى فلسطين والأردن وقبرص. [19] أما اليوم فنسبة الروم الأرثوذكس انخفضت بشكل ملحوظ، فبعد أن كانوا يشكلون النصف، أصبحوا اليوم أقل من الربع ونسبتهم تصل فقط إلى 23%.[20]

طائفة الكاثوليك (اللاتين)

تعد طائفة الروم الكاثوليك إحدى الطوائف التي يوجد لها رعايا عابرة للحدود، فرعايا الكنيسة يعيشون داخل فلسطين وإسرائيل والأردن وقبرص. تأسست البطريركية الكاثوليكية الأولى في القدس في الحقبة الصليبية عام 1099. بعد سيطرة صلاح الدين على القدس عام 1187 انتقلت البطريركية إلى عكا حتى سقوط عكا بيد المسلمين عام 1291. [21] وما بين هذا العام وحتى عام 1847 لم تكن هناك بطريركية لاتينية في فلسطين وكان اللقب رمزياً فقط. تولى الفرنسيسكان إدارة الأماكن المقدسة للطائفة الكاثوليكية، وكانت أعداد رعايا الطائفة قليلة جدا في تلك الفترة. [22] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومع انفتاح الدولة العثمانية على أوروبا، قامت الكنيسة

16 Akroush, p.15.

17 أمنون، رامون، المسيحية والمسيحيين في دولة اليهود، السياسات الإسرائيلية اتجاه الكنائس والطوائف المسيحية (1948-2010)، 2012، ص 69.

18 إيلي، شيلر، طوائف وأقليات في البلدة القديمة (إصدار اريئيل، القدس)، ص 7.

19 Daphne, Tsimhoni, Christian Communities in Jerusalem and the west bank since 1948, An historical, Social and political study, 1993, p.33.

20 Akroush, p.15.

21 Tsimhoni, p.115.

22 شيلر، ص 55.

الكاثوليكية ببناء وافتتاح الكثير من الكنائس والمؤسسات الثقافية والدينية والصحية في فلسطين.

أما اليوم فتعد طائفة الكاثوليك من أكبر الطوائف من حيث عدد الرعايا في المدينة المقدسة، فعدد رعاياها يتجاوز الخمسة آلاف شخص وهم يشكلون 55 % من مجمل مسيحيي القدس.[23] كما يشكل الكاثوليك الطائفة الأغنى والأكثر تنوعا بين جميع الطوائف، فيوجد في القدس أكثر من عشرين مؤسسة كاثوليكية تدعم غالبيتها من قبل مؤسسات خيرية عالمية. كما وتدير الرهبنة الفرنسيسكانية المنظمة غالبية المؤسسات الكاثوليكية ويوجد فيها ممثلين من أكثر من 20 دولة مختلفة.[24]

الروم الملكيون الكاثوليك

نشأت طائفة الروم الكاثوليك بعد قيام حركة انفصالية في القرنين السابع عشر والثامن عشر داخل كنيسة الروم الأرثوذكس، في منطقتي سوريا ولبنان، وذلك بدعم مبشرين كاثوليك، وسمُّوا بالملكيين (Melkite) بسبب انحيازهم وتأيدهم للبطريرك (الملك) الحاكم تيوثي الثاني المدعوم من الإمبراطور البيزنطي ليو الأول.[25] كان السبب الرئيس وراء حراكهم الانفصالي سببا اجتماعيا ثقافيا أكثر منه دينيا، ورغبة منهم باستبدال القيادة اليونانية للكنيسة الأرثوذكسية بأخرى عربية.[26] في عام 1837 اعترف السلطان العثماني بالكنيسة، وفي عام 1838 اعترف بها البابا أيضاً، وأصبح هناك بطريركية «أنطاكية والإسكندرية وأورشليم».

في نهاية القرن التاسع عشر ازداد عدد رعايا الكنيسة بشكل ملحوظ، فقامت ببناء كنائس في مناطق مختلفة مثل رام الله واللد، والرملة ويافا وغيرها من المدن الفلسطينية.[27] أما في فترة الانتداب البريطاني فباتت كنيسة الروم الكاثوليك من أهم الكنائس في فلسطين وقد فاق عدد رعاياها 12 ألف شخص أي ما نسبته 14% من نسبة مسيحيي فلسطين وذلك بحسب تعداد 1931، وفي أعقاب النكبة. اضطر الكثير من أبناء الكنيسة للخروج من مدينة القدس وأصبحوا لاجئين.[28]

أما عن عدد الرعايا فوصل في الثمانينات إلى 1,350 شخصا،[29] وفي عام 2019 فقد وصل عددهم إلى ما يقارب 860 شخصا، ويشكلون ما نسبته 9% من مجموع مسيحيي المدينة.[30]

طائفة السريان

تعد الطائفة السريانية من أقدم الطوائف في القدس، فلغتها هي اللغة الآرامية القديمة، وقد انفصلت عن الكنيسة الجامعة في العام 451 ميلادية. شكلت الطائفة في القرن السابع مركزاً مهماً في منطقة الموصل بالعراق، وفي القرن الثاني عشر وصلت قوة الطائفة إلى ذروتها وتبعها 103 أسقفية، وأكثر من مليونين من الرعايا.

أما في القدس فتتبع الكنيسة للبطريرك المتواجد في دمشق منذ عام 1959، وتقسم الكنيسة إلى سبع أسقفيات إحداهن في القدس، وهناك رعايا للكنيسة يعيشون أيضاً في منطقة بيت لحم، ويعمل الكثير من أبناء الطائفة بالأعمال الحرة، إضافة إلى العمل في الطب والمحاماة.[31]

23 Akroush, p.15.
24 شيلر، ص 54.
25 https://web.archive.org/web/20120321114135/http://www.pgc-lb.org:80/english/Faith3.shtml
26 Tsimhoni, p. 107.
27 شيلر، ص 75
28 Tsimhoni, p. 108.
29 شيلر، ص 75
30 Akroush, p.15.
31 شيلر، ص 48-47.

في بداية القرن العشرين وصل عدد أبناء الطائفة السريانية الأرثوذكسية في القدس إلى ما يقارب مائة شخص فقط، وقد وصل ذروة عدد رعايا الكنيسة إلى ما يقارب ألفي شخص في العام 1945.[32] أما اليوم، وبحسب إحصائيات 2019، لا يتجاوز عدد السريان 400 شخص في المدينة المقدسة ويشكلون ما نسبته 4% من مسيحيي القدس.[33]

طائفة الأرمن

ينسب الأرمن إلى دولة أرمينيا الواقعة في منطقة القوقاز، لكن تغيرت حدودها بحسب الحروب والممالك التي تغيرت وتبدلت عبر التاريخ، فكان الأرمن يستقرون في المرتفعات الأرمنية الواقعة شرق الأناضول، والممتدة من جورجيا بالشمال حتى شمال سوريا.

كانت بداية وجود الأرمن عند هجرتهم من البلقان إلى منطقة آسيا الصغرى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقطنوا في منطقة جبال آرارات (الواقعة على حدود تركيا وروسيا وإيران). أما علاقة الأرمن مع المسيحية فكانت مبكرة، حيث كانوا من أوائل الشعوب التي آمنت بالمسيحية، فمنذ عام 301 للميلاد دخلت المسيحية البلقان وأصبح الأرمن يأتون لزيارة القدس للحج[34]، وتتبع غالبية الطائفة الأرمنية في القدس الكنيسة الأرثوذكسية، وتحظى الطائفة الأرمنية بمكانة خاصة في المدينة المقدسة فهي تمتلك حيا داخل البلدة القديمة، ولها صلاحيات في إدارة ورعاية الكثير من الأماكن المقدسة التابعة لها في القدس.

تقسم الطائفة الأرمنية الموجودة اليوم في القدس إلى قسمين، الأول: القدامى، ويسكنون في « دير مار آركانجل» الواقع شرقي مار يعقوب، والثاني: حديثي العهد، الذين جاؤوا وسكنوا المدينة بعد قيام الأتراك بمذبحة بحق الأرمن في فترة الحرب العالمية الأولى،[35] وبحسب التقديرات وصل عدد اللاجئين حينها من الأرمن في المدينة إلى عشرة آلاف، إلا أن غالبيتهم غادر المدينة بعد عدة سنوات. يتميز الأرمن في عدة مجالات أهمها صناعة المجوهرات والتصوير وصناعة التحف.[36] وما زال الأرمن يحافظون على لغتهم الأم ويدرّسونها في مدارسهم لأطفالهم، كما أنهم ما زالوا على تواصل مع الأرمن الذين يعيشون في أرمينيا وفي مختلف أنحاء العالم.

أما عن تعدادهم في مدينة القدس، فتقول الإحصائيات إن عدد الأرمن الأرثوذكس وصل في بداية القرن التاسع عشر إلى 500 شخص، أما عام 1945 فقد وصل عددهم إلى ذروته إذ قُدر بنحو 5-7 آلاف شخص،[37] وحسب التقديرات يصل عدد الأرمن اليوم إلى 500 نسمة فقط، يعيشون بالأساس داخل مدينة القدس ويشكلون ما يقارب 5% من السكان المسيحيين في المدينة.[38]

32 Tsimhoni, p. 79.
33 Akroush, p.15.
34 شيلر، ص 22-21.
35 العارف، ص 250.
36 Tsimhoni, pp.63-65.
37 Ibid, p.65.
38 Akroush, p.15.

الديمغرافيا والجغرافيا

يُعد المسيحيون في القدس أقلية سكانية، فقد أدت الظروف إلى تقلص أعدادهم بشكل كبير، وقبل الحديث عن الأعداد والاحصائيات الخاصة بالمسيحيين، يجب أن نشير إلى أن غالبية الاحصائيات المشار إليها في هذا البحث ليست دقيقة تماماً، فهناك تفاوت بين الأرقام والاحصائيات المختلفة؛ بسبب طريقة التعداد واختلاف المصادر.

تشير الإحصائيات في بداية القرن العشرين إلى أن أعداد السكان المسيحيين متقارب مع أعداد السكان المسلمين، فعدد المسيحيين في عام 1922 وصل إلى ما يقارب 15 ألف نسمة، وقد زاد بشكل ملحوظ وكبير في فترة الانتداب البريطاني، إلى أن وصل إلى ما يقارب 30 ألف نسمة وذلك عام 1944.[39]

إلا أن أحداث النكبة الفلسطينية عام 1948 أثرت بشكل كبير على عدد المسيحيين في المدينة، حيث شكلت النكبة ضربة ديمغرافية مؤثرة لهم في المدينة، إذ طرد الاحتلال الإسرائيلي المسيحيين من الأحياء الموجودة غرب المدينة، وحسب التقديرات فإن نصف المسيحيين في القدس كانوا يقطنون تلك الأحياء، مما دفع جزءا منهم إلى اللجوء إلى البلدة القديمة، والاحتماء والسكن في ممتلكات الكنائس التي يتبعونها، كما فرّ الكثير منهم إلى خارج البلاد واستقروا هناك.[40]

بعد النكبة وفي فترة الحكم الأردني ازدادت أعداد المسيحيين، لكن أصبحت الغلبة السكانية في القدس الأردنية للسكان المسلمين، بعدما كان عدد السكان المسيحيين يتساوى مع عدد المسلمين في المدينة بل يتفوق عليهم أحيانا، وحسب احصائية عام 1961 وصل عدد المسلمين إلى 64 ألف نسمة، بينما وصل عدد المسيحيين إلى 12,500 نسمة، أي أن نسبة المسيحيين وصلت إلى 16.3% من مجمل سكان القدس الشرقية في ذلك الحين.

39 Tsimhoni, p.20.

40 Tsimhoni, p.19.

بالموازاة مع ذلك، كانت نسبة الزيادة الطبيعية للمسلمين أعلى منها للمسيحيين، وذلك بسبب قدوم سكان من الضفة الغربية من المسلمين إلى القدس،[41] سواء بهدف العمل أو بهدف الاستقرار في المدينة، وأدى ذلك إلى انخفاض نسبة السكان المسيحيين تدريجيا مقارنة بالسكان المسلمين.

وبعد احتلال الجزء الشرقي للمدينة عام 1967، لم تتغير أعداد المسيحيين بشكل كبير، إذ كانت ما يقارب 11 ألف نسمة، لكن المجموعات السكانية الأخرى من المسلمين واليهود كانت بازدياد، ففي عام 1989 وصلت نسبتهم إلى 8.4% من مجمل سكان المدينة. أما اليوم وحسب الكتاب الإحصائي السنوي لمعهد القدس لبحث السياسات، وصل عدد المسيحيين العرب عام 2018 إلى 12,720 من مجموع سكان المدينة البالغ 919 ألفا[42] أي أن نسبتهم لا تتعدى 1%، إلا أن بعض الباحثين يشككون في هذا الرقم، ويرون أنه كبير مقارنة بالمسيحيين الذين يقطنون القدس فعلاً، ويرون أن عدد المسيحيين لا يتجاوز 10 آلاف نسمة، ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك ويرى أن عدد المسيحيين في المدينة لا يتجاوز 8 آلاف نسمة.[43]

أما فيما يخص التركيبة والفئات العمرية، فإن معطيات عام 2018 تقول: إن نسبة المسلمين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 0-14 تصل إلى 36% ولدى المسيحيين تصل فقط إلى 20%. أما الفئة العمرية الكبيرة بالسن التي يتجاوز سنها 65 عاما فنسبتها لدى المسلمين 4% فقط، أما لدى المسيحيين فهي 14 %.[44] أما الفئة العمرية ما فوق الـ 75 عاما فتصل نسبتها عند المسيحيين إلى 6.3% ولدى المسلمين 1.3%، بينما تتراوح نسبة المسنين ضمن نفس الفئة العمرية في مدينة القدس 4% وذلك حسب إحصائيات 2018، ومن اللافت للنظر أن النساء المسيحيات نسبتهم أكبر من ذات الفئة العمرية، فنسبة من تفوق أعمارهن 75 عاما من المسيحيات هو 7.5% من بين مجمل النساء، ونسبتها لدى الرجال المسيحيين 5%.[45]

يصل متوسط الأعمار لدى المسيحيين في القدس إلى 34.8 عاما مقارنة ب 21.3 عاما لدى المسلمين و 25.2 عاما لدى اليهود، أما متوسط الأعمار لجميع سكان المدينة فيصل إلى 23.9 عاما،[46] ومن اللافت للنظر كذلك أن متوسط الأعمار لدى المسيحيين مرتفع جدا، إذا ما قورن بالمجموعات السكانية الأخرى.

وصل متوسط عدد أفراد الأسرة المسيحية في القدس عام 1967 إلى 4.1 فردا، أما لدى العائلة المسلمة فوصل إلى 5.3 فردا.[47] وتتشكل الزيادة الطبيعية تبعا لتأثرها بأربعة عناصر رئيسة، هي: معدل الوفيات، معدل المواليد، الهجرة إلى الداخل، والهجرة إلى الخارج، وحسب معهد القدس للدراسات، لوحظ في السنوات الأخيرة فرق واضح في الزيادة الطبيعية بين المسلمين والمسيحيين، فبين عامي 2014 و 2018 كانت نسبة الزيادة الطبيعية السنوية لدى المسلمين في القدس بين 2.5% - 2.8% بينما تراوحت هذه الزيادة في ذات السنوات 0.6% - 1.3% لدى المسيحيين، ويفسر المصدر السابق هذه النتيجة على أنها جاءت تبعا لتوزيع الفئات العمرية، ومعدل الخصوبة، إضافة إلى اشتراك النساء في سوق العمل، ومستوى التعليم.[48]

41 Tsimhoni, pp. 21-22.

42 https://jerusaleminstitute.org.il/wp-content/uploads/2020/04/shnaton_C1020.pdf

43 مقابلة مع الباحث في شؤون المسيحيين السيد أسامة سلمان والتي أجريت بتاريخ 12.08.2020.

44 حوشن، ص 28.

45 https://jerusaleminstitute.org.il/wp-content/uploads/2020/04/shnaton_C1420.pdf

46 Ibid.

47 Ibid.

48 حوشن، ص 26.

يعد معدل الوفيات في الحي المسيحي في البلدة القديمة أعلى معدل بين جميع الأحياء العربية في القدس، ويصل إلى سبع حالات وفاة من بين كل ألف شخص، وبعدها يأتي الحي الأرمني (الذي يقطنه مسيحيون) وحي وادي الجوز بمعدل يصل إلى أربع حالات وفاة من بين كل ألف شخص، أما باقي الأحياء في شرقي المدينة فمعدل الوفاة بين سكانها أقل من ذلك.[49]

أما التوزيع الجغرافي للمسيحيين في مدينة القدس، فقبل النكبة سكن المسيحيون الأحياء الغربية للمدينة، أما بعد النكبة فلجأ الكثير منهم إلى البلدة القديمة وأحياء المدينة المختلفة، لكن ما زال المسيحيون يتركزون في مناطق معينة من أهمها: حي بيت حنينا في شمال المدينة، حيث تقول إحصائية عام 2017 أن عدد المسيحيين الذين يسكنون حي بيت حنينا يصل 3,100 نسمة وهو أكبر عدد للمسيحيين في القدس، لكن بالمقابل تعد بيت حنينا من أكبر الأحياء في القدس حيث يسكنها أكثر من أربعين ألف نسمة، أي أن نسبة المسيحيين لا تتجاوز 10% من مجمل سكان الحي، لكن هذه نسبة مرتفعة إذا ما قورنت بنسبة المسيحيين في القدس التي لا تتجاوز 1% من مجمل سكان المدينة. أما الحي الثاني فهو الحي المسيحي في البلدة القديمة ويسكنه 2,500 نسمة، وبعده يأتي حي بيت صفافا وشرفات التي يسكنها 1,400 نسمة، وذلك بعدما أقيم فيه مشروع للعائلات المسيحية عام 2012، أما المنطقة الرابعة التي يتركز فيها المسيحيون فهي الحي الإسلامي في البلدة القديمة، حيث يقطن فيه 1,000 نسمة تقريبا.[50]

إضافة إلى هذه المناطق، يتركز المسيحيون أيضاً في دير بيت فاجي الواقع في حي الشياح، حيث يقطن هناك ما يقارب ثمانين عائلة، إضافة إلى بعض العائلات المسيحية التي تعيش في منطقة الطنطور والتي تتبع أراضيها أراضي بيت جالا، لكنها اليوم داخل حدود بلدية القدس الإسرائيلية، كما أن هناك القليل من العائلات التي تسكن في أحياء أخرى في المدينة، فعلى سبيل المثال، كانت هناك بعض العائلات المسيحية التي سكنت في منطقة عناتا الواقعة خلف الجدار، لكن وبعد بناء الجدار لم يتبق هناك سوى عائلة أو عائلتين.

التعليم

تميز المسيحيون في فترة ما قبل النكبة بمكانة اجتماعية مميزة، كما حافظوا على نسبة تعليم عالية بالمقارنة مع المسلمين حتى فترة ما بعد النكبة، وحسب معطيات دائرة الإحصاء الإسرائيلية عام 1967 كانت نسبة المتعلمين والحاصلين على الثانوية العامة أو شهادة جامعية من الرجال المسلمين 80.6% مقارنة بنسبة 90% من الرجال المسيحيين، أما النساء فنسبة المسلمات كانت تصل فقط إلى 48.2 % أما المسيحيات فوصلت النسبة إلى 76.3%.[51]

أما في الوقت الحاضر، فإن الغالبية الساحقة للطلبة المسيحيين وتصل نسبتهم إلى 98% تدرس في مدارس مسيحية وكنسية، [52] ويفضل غالبية الطلبة المسيحيين البقاء والدراسة في المدارس الكنسية بعيدا عن المدارس الحكومية الفلسطينية، أو الحكومية التابعة للبلدية الإسرائيلية، أو وزارة المعارف الإسرائيلية، أو مدارس خاصة أخرى. ويوجد في القدس 12 مدرسة كنسية، يتعلم فيها حوالي 5,500 طالب وطالبة مسلمين بالإضافة إلى 1,660 طالب وطالبة مسيحيين، كما أن هناك 8 من بين 12 مدرسة كنسية يقعن في البلدة القديمة ومحيطها.[53]

49 حوشن، ص 44.
50 حوشن، ص 21.
51 Tsimhoni, p. 27.
52 Akroush, p. 16.
53 Akroush, p. 16.

الاقتصاد

يعد الاستقرار الاقتصادي أحد العناصر المهمة في المجتمع بشكل عام، إلا ان الوضع السياسي غير المستقر في المدينة وما يحصل فيها من اضطرابات لا تنقطع، أثّر على الوضع الاقتصادي المحلي سواء على المسيحيين أم على غيرهم، حيث نرى وبشكل مضطرد ازدياد نسبة البطالة وانخفاض في القوى العاملة.[54]

أما فيما يخص المسيحيون، ففي خلال العقود التي سبقت الانتفاضة الأولى فإن نسبة عالية منهم كان عملهم يعتمد بشكل كبير على شهاداتهم العلمية، إذ كانوا يعملون ضمن ما يسمى مهن الياقات البيضاء، كمهن الأعمال المكتبية وإدارة الأعمال، وذلك بنسبة تجاوزت نسبة المسلمين في تلك الفترة. كما كان للمسيحيين نشاط في التجارة والصناعة في الضفة الغربية أثّرعلى المسيحيين في القدس إذ كان نسبة نشاطهم التجاري تفوق نسبته لدى المسلمين، وذلك حسب معطيات عام 1974.[55] لكن في بداية الانتفاضة الأولى عام 1987 تدهورت الحالة الاقتصادية للمسيحيين، خاصة في مجال السياحة وفي المدينة المقدسة على وجه التحديد، مما أدى إلى زيادة معدل الهجرة لديهم في تلك الفترة.[56]

وحسب استطلاع للرأي لـ «عكروش « عام 2019، أفاد أن 33.5% من الشباب المسيحي العامل من الأعمار 18-25 يعملون في مؤسسة مرتبطة بالكنيسة وأن 54.7% منهم يعملون في مؤسسات غير مسيحية، إما في القطاع الخاص أو في المؤسسات الإسرائيلية، وأفاد أن 11.77% منهم عاطلين عن العمل.[57]

اما بالنسبة للفقر، فإن معطيات عام 2018 تشير إلى أن نسبة الفقر مرتفعة، إذ وصلت بين السكان المقدسيين في جميع الأحياء الفلسطينية في القدس إلى 59% ، بينما تصل إلى 27% فقط بين السكان اليهود في المدينة، وأن نسبة الفقر العامة بين العرب واليهود في مدينة القدس تصل إلى 40 %، كما أن نسبة الأطفال العرب الذين يعانون من الفقر تصل إلى 66%.[58] أما فيما يخص المسيحيين فلا يوجد إحصائية رسمية بهذا الصدد، وحسب الدراسة الاستقصائية لـ «عكروش» فنسبة العائلات التي تعتبر نفسها من الطبقة المتوسطة تصل إلى 89.86 % ، أما التي تعتبر نفسها فقيرة فتصل فقط إلى 6.6 % من نسبة المُستطلَعة آراؤهم.[59]

إن الاشتراك في سوق العمل أيضا هو معيار مهم في تحديد المستوى الاقتصادي خاصة عند مشاركة النساء فيه، فحسب معطيات عام 2018 تصل نسبة الرجال العاملين بين السكان العرب إلى 76% أما نسبة الرجال العاملين بين السكان اليهود تصل إلى 74%، وتصل نسبة النساء العربيات المشاركات في سوق العمل إلى 25 % فقط، أما نسبة العاملات اليهوديات فتصل إلى 81%.[60]

لا يوجد هناك معطيات رسمية حول نسب المشاركة في سوق العمل تبعا للديانة، لكن حسب

54 Usama G, Salman, Strengthening the Christian presence in the holy land through the implementation of a strategic planning programme, 2017, pp.150-151.

55 Akroush, p.28.

56 رامون، ص 101.

57 Akroush, p.21.

58 حوشن، ص 60.

59 Akroush, p.19.

60 حوشن، ص 6.

الدراسة الاستقصائية الخاصة بالمسيحيين فإن 55.33 % من العائلات يعمل فيها كلا الزوجين ويعيلان الأسرة، بينما 43.98 % من الأسر يوجد لها معيل واحد فقط،[61]. وإن دلّ هذا على شيء، فإنه يدل على أن نسبة العاملات من المسيحيات أكبر من العاملات منها لدى النساء المسلمات، وقد يفسر أيضا نسبة الولادة المنخفضة لدى المسيحيين، الأمر الذي قد يساهم في زيادة المستوى المعيشي لديهم في حال كان كلا الزوجين يعيلان الأسرة.

السكن

تعاني الأحياء الفلسطينية في القدس بشكل عام من الاكتظاظ، وحسب معطيات عام 2018 تصل نسبة الاكتظاظ عند اليهود إلى فرد واحد في كل غرفة، بينما لدى العرب تتضاعف النسبة تقريبا وتصل إلى 1.8 فردا لكل غرفة سكنية. [62] أضف إلى ذلك صغر حجم البيوت في البلدة القديمة. ولا يوجد إحصائيات رسمية حول حجم البيوت المسيحية، لكن من خلال النظر إلى حجم الشقق السكنية في الحي المسيحي نجد أن معدل مساحة البيت يصل إلى 47 مترا مربعا، وفي الحي الأرمني إلى 64 مترا مربعا، وهو ما يعتبر أقل من المعدل العام الموجود في المدينة والذي يصل إلى 82 مترا مربعا، وهذا المعطى قد يدل على اكتظاظ كبير في السكن في منطقة البلدة القديمة عامة، بما فيها الحي المسيحي والحي الأرمني الذي يقطنه المسيحيون. [63]

كما أن فقدان الكثير من المسيحيين لعقاراتهم في أعقاب النكبة وما تلاها من أوضاع اقتصادية صعبة، جعل جزءا منهم يسكنون في بيوت ليست ملكا لهم، وتكون في أغلب الأحيان ملكا للكنيسة أو للدير الذي يتبعون له، مما أدى إلى منعهم من الاستقلال بأنفسهم وبعائلاتهم، فبيوتهم المملوكة للدير لا يمكنهم تطويرها أو إضافة بناء عليها. يقول أحد الشباب 35 عاما ويعمل في مجال الخدمات: «عند أهلي في بيت للدير لكن ما قدرت أبني فوقه لأنه وقف خاص بالدير وما منقدر نتصرف فيه». وهذا الأمر أدى إلى زيادة أعبائهم المادية إذ يضطرون لدفع الايجارات للبيوت والعقارات التي يقومون باستئجارها.

أما ملكيات البيوت، فإن 30% من المسيحيين فقط يمتلكون البيوت التي يقطنونها، في حين 48% منهم يستأجرون بيوتا وشققا سكنية، أما الباقي وهم 22% فهم يعيشون في عقارات تابعة للكنيسة، ويعتبرون «محميين» داخل بيوتهم. [64] ويشير هذا المعطى إلى أن نصف المسيحيين تقريبا يستأجرون بيوتا، ويضطرون إلى دفع بدل إيجار شهري مما يساهم في خفض مستوى معيشتهم.

ويمكن ملاحظة هذه المشكلة بشكل واضح من خلال عدد الطلبات المقدمة للكنائس من أجل الحصول على سكن، فحسب الكنيسة الفرنسيسكانية هنالك ما يقارب 650 طلبا لدى الكنيسة الكاثوليكية التي يفوق رعاياها نصف مسيحيي القدس، للحصول على سكن، فعملية البناء واستصدار التراخيص تتطلب الكثير من الأموال، وتستلزم الكثير من الوقت حيث تستغرق سنوات عدة. [65] ومن الأمثلة على ذلك مشروع بيت فاجي في الشياح الذي استغرق عشرات السنوات منذ بداية المبادرة حتى تسلّم المستفيدون منه شققهم السكنية.

61 Akroush, p.19.
62 حوشن، ص 64.
63 حوشن، ص 90.
64 Akroush, p.19.
65 Salman, p. 128.

النتائج والنقاش

الهوية

من خلال المجموعات البؤرية والمقابلات يُجمع المسيحيون من مختلف الطوائف في القدس (ما عدا جزءا من طائفة الأرمن والتي ستتحدث عنها لاحقا) على أن الهوية الفلسطينية هي الهوية الأبرز والأهم لديهم، وبعدها تأتي الهوية المسيحية، أي أن الهوية الوطنية تفوق الهوية الدينية أو الطائفية، ومن خلال النقاش يبرز التأكيد على أن هويتهم الوطنية الفلسطينية قديمة ومتجذرة فيهم.

وبحسب نظرية التثاقف لـ «بيري »، يمكن تفسير ذلك بأن المسيحيين في القدس يحملون هوية ثنائية وهي الهوية الوطنية الفلسطينية والهوية الدينية المسيحية، أي أن هذه المجموعة ثنائية الهوية. لكن ربما تكون الصورة معقدة أكثر من ذلك، وأن هذه الهوية قد أصبحت أكثر تعقيدا مع مرور الزمن، ومع تقلب الأنظمة السياسية، والتغيرات الاجتماعية التي حصلت في المدينة.

لذا فمن المهم محاولة رسم الهوية للمسيحيين من خلال الحديث عن العوامل المحيطة، فهناك عدة عوامل تؤثر على تشكيل وصقل الهوية بحسب «بيري »، فالأقليات التي تعيش في مجتمعات متعددة، يتعين عليها إعادة تعريف الهوية الثقافية الخاصة بها وتشكيلها باستمرار على مر الزمن، وذلك ضمن نسيج اجتماعي معقد، وبما يرعى مصالحها ويضمن استمراريتها.[66]

66 John W, Berry, “Immigration, acculturation, and adaptation.” Applied psychology 46, no. 1 1997, pp. 5-34.

التأثير الغربي

يُرجع الكاتب « فرح » التأثر بالغرب وتقارب مسيحيو الشرق معه بالعادات والتقاليد والثقافة إلى تواصل مسيحيو الشرق مع الغرب، وذلك عن طريق الكنائس والمعاهد العلمية، والاكتساب الثقافي اللغوي بسبب معرفة المسيحيين للغات الغربية، وربما هذا أيضا ما سهل عليهم الهجرة إلى الخارج.[67]

لا يمكن الحديث عن الهوية للفرد المسيحي بمعزل عن التدخل الغربي أو التأثير الغربي على المسيحيين في الشرق الأوسط، ويرى الكاتب « صبّارة « أن المسيحي يولد في الشرق الأوسط، وعليه أن يتبع واحدا من توجهين أساسيين، يتشكلان حسب ما حصل عليه الفرد من تربية وخلفية اجتماعية وثقافية، ويمكن أن يكونا اختيارين بعد اكتمال الوعي لدى الفرد المسيحي، التوجه الأول: هو «العربي المسيحي» والذي يعني الانفتاح على المجتمع الإسلامي وتجنب قطيعة المسلمين بأي ثمن، وذلك بدافع الرغبة للقبول والمساواة والسعي لإيجاد أرضية مشتركة للتعايش والتعاون، أي أنه يرمز إلى الارتباط بالهوية العربية والتاريخ العربي، بما في ذلك الحضارة الإسلامية. أما التوجه الثاني: فهو «المسيحي الشرقي» الذي يهدف إلى الحفاظ على المسيحية في الشرق الأوسط بأي ثمن، وذلك بدافع الرغبة لحماية الهوية والخصوصية المسيحية، كما أنه يُظهر الغرب كجزء من هوية المسيحيين في الشرق الأوسط وليس شيئا غريبا عن المسيحيين الشرقيين، وذلك من خلال استيعاب الغرب كرمز للحداثة والتنوير.[68]

عرّف المسيحيون في القدس أنفسهم في البحث كفلسطينيين في الدرجة الأولى، أي أن تعريفهم لأنفسهم كان تبعا للتوجه الأول حسب ما يرى «صبّارة « أي «عربي مسيحي»، لكن من خلال التعمق في الحديث عن الأمور اليومية يمكن ملامسة مظاهر غربية تنعكس في صياغة الهوية في أمور حياتية يومية، مثل طريقة اللباس أو اختيار مكان السكن، فمثلا في إحدى المجموعات البؤرية، عند السؤال حول مسألة اللباس، عبّرت ثلاث شابات من أصل أربع على أنهن لا يشعرن بالراحة باللباس داخل الأحياء العربية التي يعيش فيها غالبية مسلمة، ذلك لأن لباسهن ذو نمط غربي، وتقول إحدى الفتيات 19 عاما وهي طالبة: « أنا ما بفضل إذا بدي أسبح اني أروح على شط أغلبه عرب، أنا بفضل أروح على شط اليهود لأني بشعر براحة أكثر».

أما فيما يخص السكن، فيمكن رؤية انتقال العديد من العائلات المسيحية للعيش في أحياء يهودية في القدس، لا سيما أحياء مثل جيلو وبسغات زئيف ونفي يعقوب[69]، وتقول إحدى الشابات المسيحيات 20 عاما وهي تعمل في مجال التجميل: « كنت ساكنة أنا وعيلتي في ضاحية الأقباط [70] وتعرضنا لأكثر من مرة لضرب حجار على البيت لأننا كنا حاطين شجرة عيد الميلاد، أنا وعيلتي انتقلنا نعيش لحي بسغات زئيف».

إن بعض المسيحيين فضلوا الانتقال للعيش داخل الأحياء اليهودية العلمانية، والتي تعد أحياء فردية أكثر منها جماعية، فيشعرون بالراحة أكثر دون تدخل أو مضايقات من قبل الوسط الذي عاشوا فيه في السابق، فالتأثير الغربي بدأ يؤثر بشكل واضح على قسم من المجتمع المسيحي، وعلى رؤيته لذاته داخل المجتمع الفلسطيني المسلم، وأصبح يراها بشكل أوضح داخل الأحياء اليهودية العلمانية في المدينة.

67 فرح، ص 121.

68 George , Sabra, “Two ways of being a Christian in the Muslim context of the Middle East” Islam and Christian–Muslim Relations 17, no. 1 (2006): 43-53.

69 Akroush, p.26.

70 حي فلسطيني خارج جدار العزل

تأثير الاحتلال الإسرائيلي

إن وجود المسيحيين داخل أكثرية مسلمة في فلسطين أدى إلى تأثرهم بالهوية الفلسطينية، ويرى الباحث «هاستينج»، أن تعزيز الهوية الوطنية يعود إلى وجود تهديد أو عدو مشترك يهدد المجتمع،[71] ويمكن القول أن الأحداث التاريخية التي مرّ بها المجتمع الفلسطيني مسلموه ومسيحيوه، من نكبة وسياسات التضييق والاحتلال، عزز الشعور بالهوية الوطنية وساهم بإيجاد أرضية مشتركة، وحسب « فرح « فالمسيحيون انتهجوا سياسة المشاركة السياسية والاجتماعية بشكل عام، وقد أبدى المسيحيون انفتاحهم على قضايا المنطقة الذين هم بالأساس جزء منها.[72]

كان المسيحيون حاضرين بقوة في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وساهموا بشكل كبير في الحركة الوطنية الفلسطينية، وحاولوا من خلال مواقعهم التجسير بين الشعب الفلسطيني والدول الغربية، في محاولة من أجل حل الصراع أمام دولة الاحتلال الإسرائيلي.[73] ويظهر ذلك في محاولة لإجراء مقابلة مع أحد الشباب المسيحيين فعند التواصل معه بالهاتف قال مستهجنا: « أنا ما بدي أعمل هاي المقابلة كمسيحي، لأنه الحكي عن هذا الموضوع هو بقسّم الشارع الفلسطيني لمسلم ومسيحي وهذا مرفوض».

من جهة أخرى، يعد موضوع التقديم للجنسية الإسرائيلية أمرا محرما لدى المجتمع المقدسي الفلسطيني عامة، إلا أن الإحصائيات تشير إلى أن معدل الحصول على الجنسية ازداد في السنوات الأخيرة بشكل عام لدى المسلمين والمسيحيين على حد سواء، ولكن كانت نسبة المسيحيين المتجنسين أكبر، وحسب استطلاع الرأي الذي قام به « عكروش»، فإن هناك 44% من مسيحيي القدس حصلوا على الجنسية الإسرائيلية في 15 عاما الأخيرة، وإذا ما قورنت هذه النسبة بالنسبة العامة لفلسطينيي القدس، فإن عدد حاملي الجنسية الإسرائيلية حتى العام 2016 هي 24,000 شخص [74] ، أي أن نسبة حاملي الجنسية لا تتعدى 8% من السكان الفلسطينيين في القدس.

وحسب «عكروش « فإن حصول هذه النسبة من المسيحيين على الجنسية الإسرائيلية لم يغير من وجهات نظرهم السياسية أو انتماءاتهم.[75] ومن خلال المجموعات البؤرية، يظهر أن حصولهم على الجنسية الإسرائيلية لم يغير من شعورهم أو انتمائهم الوطني، بل أرجع ذلك لأسباب حياتية عملية، خاصة بما يتعلق بقضية السفر، حيث أن الحاملين للجنسية الإسرائيلية يمكنهم السفر للكثير من الدول دون الحاجة للحصول على تأشيرة دخول.

بناء على ما سبق نجد أن المسيحيين في القدس قد تأثروا بعوامل مختلفة ساهمت في صياغة هويتهم الفردية والجماعية، فإذا ما أردنا تطبيق نظرية «بيري» فيمكن مشاهدة الاندماج في المجتمع الفلسطيني ذي الغالبية المسلمة، لكن في ذات الوقت يمكن أيضا ملاحظة الاندماج بالمجتمع الإسرائيلي والتأثر بتواجده داخل القدس، وربما النظر إلى الحياة في المجتمع الإسرائيلي كمنفذ للحصول على أسلوب حياة غربي. أما البعض من المسيحيين فقد ارتأى الانفصال عن المجتمع، من خلال التقوقع أكثر بالهوية المسيحية، ومحاولة تقليص الاختلاط مع المجموعات الأخرى (والذي سيتم الحديث عنه في قسم المشاكل والتحديات).

إذا ما أردنا تطبيق نظرية المثاقفة لـ «بيري» على ما يدّعيه «صبارة» فقد يكون التوجه الأول غير

71 Adrian, Hastings, The construction of nationhood: Ethnicity, religion and nationalism. Cambridge University Press, 1997, p.111.

72 فرح، ص 125.

73 Salman, p.146.

74 أمنون، رامون، سكان غير مواطنون، 2017، ص 317.

75 Akroush, p. 17.

مناسب، لأنه من خلال التوجه الأول وهو «العربي المسيحي»، يعتبر المسيحيون أنفسهم عربا بالدرجة الأولى وينتمون لهذه الهوية المحلية، لذا ليسوا بحاجة للتثاقف أو الاندماج داخل المجتمع، لكن إذا ما أخذنا التوجه الثاني، فقد تنطبق النظرية على المسيحيين بدرجات مختلفة، وربما حسب التجربة الشخصية للفرد، وطريقة رؤيته للمجموعات الأخرى.

ومن أجل أن تكتمل الصورة، يمكن هنا تطبيق نظرية الهوية الاجتماعية لـ» تاجفل وتورنر»[76] على ما يقوله «صبارة» التي تقول: تتكون الهوية الاجتماعية نتيجة تأثر الفرد من انتمائه لهذه المجموعة، أي أن انتماء الفرد للمجموعة يؤثر على قراراته بين المجموعات المختلفة. فإذا ما توجه المسيحي التوجه الأول وعرف نفسه «كعربي مسيحي» فعلاقته مع المجموعات الأخرى وبالأخص مع المسلمين تكون علاقة انتماء إلى الهوية الفلسطينية، وهي علاقة نابعة من الوجود المسيحي والفلسطيني بذات الأرض والبلاد والتاريخ المشترك مع المسلمين وأبناء الشعب الفلسطيني عامة، أما إذا توجه المسيحي التوجه الثاني وعرّف نفسه بأنه «مسيحي شرقي»، فتكون علاقته مع مجموعة الغرب علاقة هوية قد تطغى على وجوده وعيشه داخل الشرق، وذلك بسبب التقاء المسيحي بالغرب لأنهم أبناء دين واحد، الأمر الذي يؤثر على الثقافة والهوية بشكل مباشر، أما فيما يخص علاقته بالمجتمع الإسرائيلي فيمكن تفسير ذلك بأن الاحتكاك به في المدينة أدى إلى اندماج أو تغيير اتجاه هذا المجتمع، وربما جاء نتيجة حصول المسيحي على مجتمع فردي أكثر انفتاحا من المجتمع المسلم المحافظ، دون شعور الفرد المسيحي بتأثر هويته الوطنية بذلك التأثير الإسرائيلي.

من جهة أخرى، يمكن كذلك تفسير التباين بين الأفراد حسب نظرية الهوية الاجتماعية، ففي حال كانت حدود المجموعة مخترقة، قد يقوم الفرد بما يسمى حسب « تاجفل « التطور الفردي (in-dividual mobility) إذ يمكن من خلاله أن يقوم الفرد بعمل خطوة ما من أجل تطوير ذاته، وذلك بهدف تحقيق أهداف فردية من أجل تحسين الجانب الفردي للشخص، وهنا فإنه من الممكن أن ينطبق ذلك على ما قام به جزء من المسيحيين للحصول على الجنسية الإسرائيلية، فاستمر هؤلاء بالشعور بأنهم فلسطينيون دون أن تتأثر هويتهم الوطنية، لكن كان وراء هذه الخطوة مصلحة شخصية، وينطبق الأمر كذلك على مسألة انتقالهم للعيش في أحياء يهودية من أجل أهداف شخصية، كالرغبة بالشعور بالراحة الفردية، دون مضايقات من المجتمع الذي كانوا يعيشون بداخله.

جميع هذه التعقيدات في الهوية تختلف من شخص لآخر، فتعريف الشخص بهويته لا يكون قاطعا أو واضحا، بل قد يكون مزيجا من هويات متعددة، وتعقيدات مرَّ ويمرُّ بها، مما يضطره إلى تغيير مركبات هويته خلال فترات حياته. وهنا قد ينطبق هذا الأمر على ما تم ذكره سابقا من نظرية التثاقف.

الهوية لدى طائفة الأرمن

لا يمكن فصل الهوية عن اللغة والثقافة، فالحي الأرمني في البلدة القديمة يوجد به مدرسة خاصة بالأرمن، واللغة الوحيدة التي يتكلم بها أبناء الحي هي اللغة الأرمنية. يقول أحد الشبان الأرمن 27 عاما ويعمل في مجال السياحة: "جميع البيوت الأرمنية تتحدث اللغة الأرمنية، لا يوجد بيت أرمني لا يتحدث هذه اللغة». أما فيما يتعلق بالثقافة، فإن الأرمن الذين يعيشون داخل حي الأرمن يفتخرون بهويتهم الأرمنية التي نشأوا عليها، يقول أحد الشباب الأرمن 21 عام وهو طالب: « منذ طفولتنا تربينا وكبرنا على أننا أرمن، هذه هي الكلمة الأكثر التي كنا وما زلنا نستخدمها عند التعريف عن أنفسنا».

76 Henri, Tajfel,"Social identity and intergroup behaviour." Information (International Social Science Council) 13, no. 2 (1974): 65-93.

ويؤكد أبناء الطائفة في المجموعة البؤرية أن انتماءهم بالدرجة الأولى للهوية الأرمنية، فيما يرى بعضهم أن الهوية الأرمنية منفصلة عن الهوية المسيحية، إلا أن آخرين يرون أنه لا يمكن فصل الهوية الأرمنية عن الديانة المسيحية، خاصة وأن الأرمن هم أول من آمن بالديانة المسيحية، وذلك حسب المجموعة البؤرية للطائفة.

أما بالنسبة لإنتمائهم للشعب الفلسطيني، فيرى الكثيرون أنهم لا ينتمون للشعب الفلسطيني، وأن من ينتمي للشعب الفلسطيني هم الأرمن المحليون (المقصود الذين كانوا في القدس قبل مئات السنين وقبل مذبحة الأرمن) أي أن الأرمن الذين جاءوا في أعقاب المذبحة والحرب العالمية الأولى ما زالوا على ارتباط وثيق بأرمينيا، ويظهر ذلك من خلال ارتباطهم الوثيق بما يحصل في أرمينيا، فهم يحفظون أسماء الحكومات والوزراء، وعلى دراية بكل ما يجري في بلدهم الأم، يقول أحد الشباب الأرمن 22 عاما وهو طالب: «يعتبر الحي الأرمني هنا في البلدة القديمة أرمينيا الصغيرة، فهنا نشعر بأننا في أرمينيا فنحن نملك المدرسة الخاصة بنا ولدينا حدودا للحي». وارتباطهم في أرمينيا أيضا يتمثل بعلاقات شخصية مع عائلات وأصدقاء هناك، وليس فقط في معرفة معلومات عامة عما يدور في أرمينيا.

أما عن علاقة الأرمن بالطوائف المسيحية الأخرى، فإنهم يملكون علاقات جيدة وصداقة مع الكثير من المسيحيين من أبناء القدس، ويُبدي البعض شعوره ويؤكد على أن العلاقات تبقى في إطار رسمي، ومن خلال نشاطات مشتركة مثل الأطر الرياضية أو الكشفية أو الثقافية، فيقول أحد الشباب 23 عاما، ويعمل في مجال التجارة: «أنا أشعر أن العلاقات مع المسيحيين بأغلبيتها هي عبارة عن علاقات رسمية وفي إطار معين، حين يكون هناك تعاون بين المؤسسات الأرمنية والمؤسسات المسيحية الأخرى، وما زلت أشعر أن هناك وسما خاصا بنا كأرمن». كما عبّر المشاركون في المجموعة البؤرية عن شعورهم بالأمان والراحة حين دخولهم إلى الحي الأرمني أكثر من أي منطقة أخرى في المدينة.

وعند السؤال عن إذا ما كانوا منعزلين عن باقي المجتمع، قالت إحدى الشابات 22 عاما وهي طالبة: «نحن شبه منعزلون عن العالم الخارجي، من المؤكد أننا كشباب نخالط باقي أبناء المدينة، لكن أشعر أن لدي هوية وثقافة خاصة بي وبطائفتي الأرمنية هنا».

ويمكن تحليل ما أبداه أبناء الطائفة الأرمنية حسب نظرية «بيري» بأن الأرمن يفضلون اتخاذ اتجاه الانفصال على اتجاه الاندماج، وبهذا التوجه يمكنهم الحفاظ على لغتهم وشعورهم الوطني اتجاه أرمينيا وتعريفهم لذاتهم دون التأثر بشكل كبير مما يدور حولهم، فعلى الرغم من تواصلهم مع المجتمعات الخارجية إلا أنهم يحافظون على شعورهم بالانتماء، فقد قال أحد الشباب 27 عاما ويعمل في مجال السياحة: «هناك معتقد لدى أرمن الشتات الذين يعيشون خارج أرمينيا، بأنهم وإن طال بهم الزمن سيعودون إلى الوطن الأم». أما بحسب الثقافة المحيطة فيمكن رؤية أن الأرمن حافظوا على الحدود والقيود في مجموعتهم ومنعوا اختراقها بشكل عام، واستطاعت المجموعة المحافظة على أعضائها ومنعتها من التنصل أو الانفصال بفعل القوة الجاذبة من المجتمع المركزي.

المشاكل والتحديات

يشترك المسيحيون في القدس في الكثير من المشاكل التي يعاني منها باقي الفلسطينيين، من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية صعبة، لكن هناك بعض الخصوصية لمشاكلهم، كونها شريحة لها تاريخ عريق وطويل في المدينة، وسنحاول في هذا البحث إلقاء الضوء على بعضه، وذلك من خلال دمج المصادر مع المقابلات والمجموعات البؤرية، كما سنحاول تقسيم المشاكل إلى داخلية وخارجية من أجل محاولة توضيح الصورة بشكل أكبر، وتجدر الإشارة هنا إلى أن التغيرات التي حصلت خلال العقود الأخيرة لم تؤثر فقط على الهوية كما ذكر في القسم السابق، بل أدت أيضا إلى خلق مشاكل وتحديات إضافية فاقمت من المشاكل القائمة أصلاً لدى مسيحيي المدينة.

انخفاض أعداد المسيحيين

في القسم الأول سنناقش المشاكل وفقا للمعلومات التي تحدثنا عنها خاصة فيما يتعلق بالقضية الديمغرافية، والتغيير الكبير الذي حصل للمسيحيين على مدى هذه السنوات وكيف ألقى بظلاله عليهم، وذلك من خلال المعطيات التي ذكرت سابقا في قسم الديمغرافيا. فمن المُلاحظ أن أعداد المسيحيين في القدس بدأت تتناقص بشكل دراماتيكي وكبير منذ عام 1948، على عكس ما شهدته فترة الانتداب البريطاني من تزايد في أعدادهم التي وصلت إلى 30 ألف مسيحي، إذ كان هذا العدد يضاهي عدد المسلمين في المدينة في تلك الفترة.

ويمكن ربط انخفاض أعداد المسيحيين بعدة عوامل أهمها:

العوامل السياسية:

يرتبط مصير القدس والأماكن المقدسة المسيحية ارتباطا وثيقا بالتاريخ والإرث المسيحي، وكان الموقف الدولي المسيحي واضحا من هذه القضية، فقبل النكبة أعرب الكثير من أبناء الطوائف المسيحية عن قلقهم وخوفهم من السيطرة اليهودية على الأماكن المقدسة في القدس، ويعود ذلك إلى العام 1922 عندما قام وزير خارجية الفاتيكان بالتصريح علنا بأن ما يقوم به الانتداب البريطاني قد يؤدي إلى تهجير عدد ضخم من المسيحيين، وكان من ضمن مقترحات الكرسي الرسولي تدويل مدينة القدس خوفا على الأماكن المقدسة. إلا أن النكبة أدت إلى تهجير الكثير من المسيحيين وخاصة من الأحياء الموجودة غرب المدينة، أما عام 1967 فقد تم احتلال الجزء الشرقي من المدينة، وسنّ الاحتلال قوانين عززت الهوية الدينية اليهودية على حساب الهويات الدينية الأخرى للسكان الموجودين في هذا الشق من المدينة.[77]

واستمرت سياسات الاحتلال الاسرائيلي بالتضييق على جميع السكان المسيحيين، ووصلت إلى ذروتها خلال فترة الانتفاضة الأولى التي أدت إلى هجرة المسيحيين بشكل كبير عام 1987.[78] ثم تلتها الانتفاضة الثانية عام 2000 التي أثرت بشكل سلبي على المسيحيين كذلك وزادت من هجرتهم، كما زاد بناء جدار العزل الذي بدأ بناؤه عام 2003 من معاناتهم، وفصّلهم عن عمقهم الطبيعي في الأماكن المقدسة وعن عائلاتهم في بيت لحم، كما فصل البعض عن مصالحهم التجارية.[79] وخلال العقود الطويلة عمدت حكومات الاحتلال على مصادرة الكثير من الأراضي التابعة للسكان بما فيها السكان المسيحيين، إضافة إلى ممارسة العنف اتجاه جميع الفلسطينيين بما في ذلك المسيحيين كذلك.[80]

العوامل الديمغرافية:

إن هذا الانخفاض في أعداد المسيحيين في مدينة القدس، جاء مصاحبا لزيادة في أعداد المسلمين واليهود فيها، إذ تضاعف عدد سكان المدينة خلال العقود الأخيرة بما يقارب تسعة أضعاف لتصل إلى 919,400 نسمة حسب إحصائيات عام 2018 ، كما توسعت حدودها بشكل كبير بعد حرب عام 1967 وذلك بعد ضم 70 ألف متر لتصل إلى 126 ألف كيلو متر مربع، أضف إلى ذلك فقد ازداد عدد

77 Salman, p.146.
78 رامون، ص 101.
79 رامون، ص 122.
80 Salman, p.146.

المسلمين في فترة الحكم الأردني، وذلك من خلال وفود سكان من منطقة الخليل ومن قرى الضفة الغربية من المسلمين إلى المدينة، فباتت نسبة المسيحيين لا تتجاوز 16% من سكان المدينة في تلك الفترة، [81] وترافق هذا مع انخفاض في معدل الزيادة الطبيعية والولادة لدى المسيحيين في القدس كما ذكر سابقا.

كما ان التضييق على الفلسطينيين عموما من قبل الاحتلال من خلال بناء المستوطنات، ومحاولة منع التوسع الديمغرافي الفلسطيني في عموم المدينة ساهم في الإضرار في زيادة عدد المسيحيين في المدينة، فبالرغم من توسيع حدود مدينة القدس، إلا أن الكثير من الأراضي ابتلعتها المستوطنات، وقطن فيها مئات الآلاف من المستوطنين. [82]

الهجرة

ترتبط الهجرة بالعوامل السياسية والديمغرافية التي ذكرت سابقا، كما أن قضية هجرة المسيحيين من البلاد ليست بالجديدة، بل هي ممتدة منذ عقود طويلة، لكن ازدادت وتيرتها منذ العام 1967، فالأوضاع السياسية والاجتماعية وحالة عدم الاستقرار التي تشهدها البلاد ساهمت في زيادة الهجرة، كما أن التطلع لحياة أفضل من الناحية الاقتصادية تتوفر فيها حريات اجتماعية ودينية واستقرارا سياسيا، دفعت المزيد من المسيحيين إلى الهجرة. [83]

فإذا ما قارنا هجرة المسيحيين منذ عام 1948 مع تلك الهجرة التي قام بها المسلمون، فإن نسبة المسيحيين تفوق نسبة المسلمين، فبحسب الباحث «بريور»، فإن هناك نية لهجرة المسيحيين أكثر بثلاث أضعاف من المسلمين، فمنذ عام 1967 غادر ما يقارب 40% من المسيحيين الفلسطينيين أرض فلسطين. [84]

من جهة أخرى، بات الفرد المسيحي أكثر تأثراً بالمعتقدات الفردية، فقد أصبح فكره متمدنا وطموحا أكثر على المستوى الشخصي، وأصبح يسعى للحصول على حياة وتعليم وظروف معيشية واقتصادية أفضل. [85] ويعتقد البعض أن تشجيعا وتسهيلا على هجرة المسيحيين كانت تقوم به الدول الغربية ، خاصة الأوروبية منها ، فيرى بعض المسيحيين بأن هذه التسهيلات عبارة عن سياسة ينتهجها الغرب من أجل تفريغ منطقة الشرق الأوسط من المسيحيين، في حين يعتقد آخرون بأن ذلك جاء نتيجة لاضطهاد المسيحيين في المنطقة ولتوفير مكان آمن لهم. من جهة أخرى فإن عدم ارتباط المسيحيين بالعائلة الموسعة بنفس القدر الموجود لدى المسلمين أدى أيضا إلى اغترابهم بشكل أكبر، يقول أحد الشباب المسيحي 31 عاما ويعمل موظفا: «عندي صاحب سافر على كندا بسنة 2007، لما احكيت معه قبل فترة قصيرة وسألته إذا بدو يرجع على البلد قلي ليش يرجع ما هو ما في اله عيلة أو حدا هون الي يربطه بالبلد».

لا يُخفي المسيحيون خوفهم من الاندثار أو الانقراض في مدينة القدس، أحد الشباب المسيحيين 38 عاما ويعمل مدرسا، أجاب عند سؤاله عن المشاكل التي يعانيها المسيحيون فقال مبتسما بحسرة: « إننا ننقرض». وهو شعور مبرر، بسبب أعداد المسيحيين الآخذة في التناقص.

81 Tsimhoni, pp. 21-22.

82 Salman, p. 143.

83 Salman, pp. 131-133.

84 Michael, Prior, "Palestinian Christians and the liberation of theology" ,1993, p. 483.

85 The Sabeel Survey on Palestinian Christians in the West Bank and Israel, 2006, p. 32.

فصل مسيحيي القدس عن عمقهم وتقييد حركتهم

إن الأحداث السياسية من انتفاضات وبناء جدار وغيرها، ساهمت في تقطيع أوصال الوطن، وأوصال العائلة الفلسطينية الواحدة، فلا يستطيع المقدسيون التنقل بين أرجاء الوطن بسهولة، بغض النظر عن انتمائهم الديني، إلا أن التأثير على المسيحيين كان أكبر وأعمق، ذلك لأن عددهم القليل في القدس فصلهم عن عددهم القليل أيضا في الضفة الغربية، خاصة في منطقة بيت لحم وما يجاورها من مناطق في بيت ساحور وبيت جالا، هذا الفصل جعلهم في عزلة اجتماعية أكبر وضائقة اقتصادية أعمق، ومن الأمثلة على ذلك صعوبة عملية الزواج في ظل الظروف السابقة خاصة وأنهم أقلية، وعملية ايجاد شريك حياة تعد عملية صعبة.[86] ويمكن هنا أيضا الإشارة إلى معطى إضافي بحسب دراسة «عكروش» بشأن العائلات المسيحية وهي أن 16% من العائلات المسيحية لديها مشكلة لمّ الشمل العائلي بين أفراد الأسرة، إذ من خلالها يتعين على العائلة الخضوع لإجراءات بيروقراطية للحصول على تصريح للزوج الآخر الذي يحمل الهوية الفلسطينية، أي أن هذا التضييق أدى إلى زيادة العقبات التي تواجه العائلة، وشكل تهديدا لحقوقهم الاجتماعية وإقامتهم في القدس.[87]

كما أن ازدياد أعداد المسلمين في المدن التي كانت مسيحية بامتياز خارج القدس، وتُعتبر عمقا لمسيحيي المدينة أثر بشكل كبير على وجودهم، فحسب المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسيحية فإن نسبة المسيحيين في مدينة بيت لحم انخفض من 84% في العام 1922 إلى 28% في العام 2007 وفي بيت جالا من 99% إلى 61% وفي بيت ساحور من 81% إلى 65% وذلك خلال ذات الفترة.[88]

تحول الصراع وغياب التاريخ المسيحي

بحسب «سلمان»، يحاول اليهود والمسلمون في القدس الحفاظ والدفاع عن هويتهم الدينية في المدينة، فاليهود يحاولون الحفاظ على أغلبية ديمغرافية داخل حدود المدينة، إما من خلال تشجيع سياسة الاستيطان، أو بتفعيل سياسة تفريغ المدينة من جميع الطوائف والسكان غير اليهود، في محاولة لجعل المدينة يهودية بالكامل. ويقوم المسلمون بالمقابل بردة فعل على هذه الإجراءات الإسرائيلية من خلال محاولة الحفاظ على العقارات الإسلامية ومنع بيعها لغير المسلمين، من خلال إصدار فتاوي تحرم بيع هذه العقارات، ونشر فكرة أن الأرض مقدسة، وهي للمسلمين فقط.[89] يقول أحد الشباب المسيحي 28 عاما ويعمل في مجال السياحة: « بشعر أحيانا ان قضية المسيحيين مهمشة فاليهودي بحكي انها الأرض اله والمسلم نفس الاشي وكأنه ما في النا تاريخ أو حق نحن كمسيحيين في هاي الأرض».

على الرغم من أن تاريخ المسيحيين في البلاد متجذر وله أصول تصل إلى آلاف السنين، فإن «سلمان» يشير بدراسته إلى قضية الوجود المسيحي بالمنطقة، وذلك عن طريق فحص الكتب المدرسية من الصف الخامس وصولا إلى الثانوية، وحسب قوله فإن المدارس والكتب المدرسية للمناهج الفلسطينية شبه خالية من ذكر التاريخ المسيحي، إذ تبدأ المناهج الدراسية الفلسطينية

86 Salman, pp. 125-127.

87 Akroush, p.17.

88 دراسة حول أسباب هجرة المسيحيين الفلسطينيين وطرق الحد منها، المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، 2020، ص 3.

89 Salman, p.106.

بتناول تاريخ العرب والمسلمين منذ بدايات الاسلام ومرورا بتاريخ الدول الاسلامية المختلفة، وصولا إلى تاريخ العصور الوسطى، كل هذا يتم ذكره دون ذكر للتاريخ المسيحي، أو ذكر التاريخ المسيحي بشكل سلبي أحياناً أو عرض معلومات غير دقيقة.[90] كما أن ذات الشيء حاصل داخل المناهج الدراسية الإسرائيلية «البجروت» التي تُغيِّب هي الأخرى التاريخ المسيحي، وتستعين بمصادر وكتب كتبها أدباء صهاينة وأحيانا من العهد القديم؛ من أجل تثبيت الحق اليهودي على الأرض، وتجاهل حق الآخرين بهذه الأرض، والتربية على القيم اليهودية.[91]

التمييز

يعاني المسيحيون تضييقا وتمييزا من قبل السلطات الإسرائيلية نتيجة للسياسات الاحتلالية كما يعاني منها المسلمين وجميع الفلسطينيين في شتى مناحي الحياة، فهم يعانون من التمييز في العمل والبناء والسياسة وغيرها. وحسب الأيدلوجية الصهيونية التي أقيمت وفقا لها دولة إسرائيل فهي تنفي وجود الشعب الفلسطيني أو إقامة دولة فلسطينية، ومتمسكة بفكرة أن الأرض فقط لليهود وأن الله منحهم إياها، وبعد النكسة عام 1967 ازداد ارتباط الأيدلوجية اليهودية بالأرض، وساهم ذلك في توطين المزيد من اليهود في البلدة القديمة في القدس.[92] كما أدت سياسة الإغلاق التي فرضها الاحتلال إلى حرمان العديد من المسيحيين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة من الوصول إلى أماكنهم المقدسة في القدس، حتى خلال الأعياد الدينية وخاصة عيدي الفصح ورأس السنة الميلادية.[93] يقول أحد الشباب المسيحي 38 عاما ويعمل في مجال التدريس ومن سكان البلدة القديمة: « في السابق كنا نشعر في الأعياد وخاصة في سبت النور وكنا نشوف كل اصحابنا وقرايبنا، أما اليوم مع قلة عدد المسيحيين والتسكيرات الي بعملها الاحتلال فنحن ما منحس بالعيد داخل البلدة القديمة حتى».

لكن بالإضافة إلى التمييز من الطرف الإسرائيلي، يعاني المسيحيون من تمييز من طرف بعض المسلمين المتشددين، فيشعر بعض المسيحيين بالغربة والانعزال عن محيطهم العربي، نتيجة لممارسات يقوم بها بعض المسلمين، سواء في أماكن العمل أو في الدراسة أو في الأماكن العامة، أو من بعض الألفاظ التي يطلقها البعض على المسيحيين مثل «صليبيين» أو غيرها من الألفاظ التي تشعر الفرد المسيحي بالعنصرية والتمييز ضده، ويمكن ربط هذه المشكلة بالمشكلة التي سبقتها، وهي تغييب التاريخ المسيحي من الكتب الدراسية ونشوء جيل لا تعرف غالبيته عن هذه المجموعة سوى الاسم.

ويفيد «عكروش» أن هناك 76% من المستطلعة آراؤهم من الشباب المسيحي تعرضوا لحوادث تمييز لمجرد أنهم مسيحيون، وصرح 42% من الشباب المسيحي بأنهم تعرضوا لمواقف اضطرتهم لإخفاء هويتهم المسيحية،[94] وبحسب أحد الشباب المسيحي 18 عاما وهو طالب: « أنا بخاف اني احط صليب أو مسبحة عليها صليب داخل سيارتي لأنه صارت وكسروا السيارة بس شافو أنه في صليب».

90 Salman, pp. 131-133.
91 Ibid, p 124.
92 Ibid, pp. 103-104.
93 Ibid, p. 144.
94 Akroush, p.25.

العزلة

إن الظـروف التـي سـبق ذكرهـا مـن انخفـاض فـي أعـداد المسـيحيين والتمييـز ضدهـم، إضافـة إلـى عزلهـم عـن عمقهـم فـي الضفـة الغربيـة، جعـل الكثيـر مـن أبنـاء الطوائـف المسـيحية منعـزلا أو شـبه منعـزل عـن محيطـه العربـي، وباتـت الكثيـر مـن الفعاليـات والنشـاطات تقـام بشـكل حصـري للمسـيحيين فقـط، فعلـى سـبيل المثـال هنـاك مجموعـات لكـرة السـلة أعضاؤهـا مـن الشـباب المسـيحي فقـط، وتقيـم النشـاطات الرياضيـة والدوريـات فقـط فـي إطـار منافسـة بيـن الفـرق والمجموعـات المسـيحية. كمـا يمكـن رؤيـة انعـزال المجتمعيـن الإسـلامي والمسـيحي عـن بعضـه البعـض فـي المناسـبات والاحتفـالات الدينيـة، فمثـلا كانـت فـرق الكشـاف المسـيحي تحتفـل فـي المناسـبات الإسـلامية مثـل مناسـبة الإسـراء والمعـراج أو المولـد النبـوي، وتحتفـل فـرق الكشـاف الإسـلامية فـي المناسـبات المسـيحية مثـل رأس السـنة أو الفصـح، لكـن هـذه المظاهـر بـدأت بالاختفـاء بشـكل كبيـر داخـل المجتمـع المقدسـي، فقـد كانـت هـذه اللقـاءات والنشـاطات تعقـد بشـكل طبيعـي وسـلس بيـن أبنـاء الديانتيـن، أمـا اليـوم فالأمـور آخـذة باتجـاه العزلـة والانغـلاق لـكل مجموعـة.

كمـا تتجسـد هـذه العزلـة فـي البنـاء والسـكن المسـيحي المنعـزل، مثـل مشـروع البنـاء فـي منطقـة بيـت صفافـا، او بيـت فاجـي المعـزول عـن المجتمـع المحيـط مـن خـلال منطقـة مغلقـة ومسـوّرة بسـور عـال، وتظهـر كذلـك فـي ممانعـة بعـض الجهـات والنشـطاء المسـيحيين مـن إقامـة فعاليـات مشـتركة مـع المسـلمين مـن أبنـاء المدينـة، يقـول أحـد الناشـطين 40 عامـا ويعمـل صحفيـا: « قبـل عـدة سـنوات أقـدم أحـد الشـباب المسـلمين بتقديـم اقتـراح بتوسـيع وشـمل بعـض أجـزاء الحـي الإسـلامي والشـوارع المركزيـة فـي فتـرة الكريسـمس ماركـت وجعـل فعاليـات العيـد مشـتركة، إلا أن بعـض النشـطاء المسـيحيين وبعـض المؤسسـات رفضـت الفكـرة».

وحسـب المشـاكل التـي ذكـرت فهنـاك ظـروف صعبـة يمـر بهـا المجتمـع المسـيحي ، وحسـب الباحثـة «انشـنيل» فـإن البيئـات الاجتماعيـة المختلفـة التـي تجعـل الفـرد يتفاعـل معهـا مثـل الأسـرة والعمـل والأصدقـاء والمجتمـع وغيرهـا، قـد تـؤدي إلـى عـبء كبيـر علـى الفـرد فـي حـال عـدم تطابقهـا مـع ذات الفـرد،[95] أي إذا مـا أخذنـا هـذه النظريـة وطبقناهـا علـى المسـيحيين فـي القـدس فقـد نـرى أن الانتمـاء والشـعور بالهويـة المعقـدة لـدى الفـرد المسـيحي التـي دخـل عليهـا الكثيـر مـن المركبـات التـي ذكـرت سـابقا فـي قسـم الهويـة قـد زادت مـن الأعبـاء لـدى الأقليـة المسـيحية. فالتغييـرات المسـتمرة التـي تحصـل فـي المنطقـة بشـكل عـام، وفـي المدينـة بشـكل خـاص سـاهمت بزيـادة الضغـوط حـول كيفيـة التعامـل والتعايـش مـع هـذه المشـاكل المتمثلـة فـي انخفـاض عـدد المسـيحيين، والصـراع الفلسـطيني الإسـرائيلي، كمـا أن هـذه التغييـرات الناجمـة عـن هـذا الصـراع ليـس مـن السـهل علـى الأقليـة المسـيحية التعامـل معهـا، وخلـق اسـتراتيجية جديـدة لحـل هـذه المشـاكل المتراكمـة والمتسـارعة.

مـن جهـة أخـرى فقـد قـل أو غـاب الدعـم المجتمعـي للمجتمـع المسـيحي، الـذي يعتبـر أهـم أسـباب الشـعور بالانتمـاء والهويـة والشـعور بالأمـان داخـل المجموعـة، [96] وقـد أدى لزيـادة الشـعور بعـدم الأمـان والخـوف علـى مسـتقبل المجموعـة، إضافـة إلـى الشـعور بالتهديـد بالانقـراض، يقـول أحـد الشـباب المسـيحيين 37 عامـا ويعمـل فـي مجـال الهايتـك: « الإنسـان المسـيحي بطـل يحـس فـي الـه ظهـر بالمجتمـع، مـا فـي مجتمـع أو كثافـة سـكانية مسـيحية لا فـي القـدس ولا فـي غيرهـا». فبعدمـا كان المسـيحي يشـعر فـي الماضـي أنـه لـه عائلـة كبيـرة ولـه مجتمـع مسـيحي، بـات اليـوم يفتقـد لهـذا الشـعور، ربمـا بسـبب هجـرة جـزء مـن عائلتـه إلـى خـارج البـلاد، أو صعوبـة الالتقـاء معهـم بسـبب الحواجـز الموجـودة مـع المـدن الفلسـطينية الأخـرى.

95 Carol S, Aneshensel, "Consequences of psychosocial stress: The universe of stress outcomes." (1996).111–36.

96 Ibid.

الفجوة بين رجال الدين وبين المجتمع المسيحي

من خلال المقابلات مع أبناء الطوائف المسيحية المختلفة، يمكن ملاحظة وجود فجوة بين رجال الدين المسيحيي من جهة، وبين المجتمع المسيحي ورعايا الكنيسة من جهة أخرى، ويعود وجود هذه الفجوة إلى عدة أسباب، من أهمها أن الكثير من رجال الدين وبخاصة رفيعي الشأن ينتمون إلى شعوب أخرى وثقافات أخرى غالبيتها ثقافات أجنبية غربية، فهم ليسوا فلسطينيي الأصل، ونتيجة لذلك ستكون خدمة رجال الدين هؤلاء في الكنيسة خدمة دينية، ووظيفية اتجاه الكنيسة، وبعيدة عن هموم الشعب الفلسطيني ومشاكله، وعن التحديات التي يواجهها مسيحيو القدس في حياتهم اليومية؛ مما يجعل التواصل الثقافي والفكري بين رعايا الكنيسة ورجال الدين أصعب، وربما يخلق سوء تفاهم بينهم وقد يؤدي إلى عدم رضا أو سخط اتجاه المؤسسة الكنسية ممثلة بأفرادها ورجال دينها. يقول أحد الشباب المسيحيين 30 عاما ويعمل في مجال الأعمال: « رجال الدين ... هدول استعمار».

بالإضافة إلى ذلك هناك غياب للمراكز الثقافية والتعليمية المسيحية، على الرغم من وجود الكثير من العقارات التي تتبع الكنائس وتمتلكها، ففي القدس يوجد أكثر من 130 منظمة ومؤسسة مسيحية [97] إلا أن بعض المسيحيين يشعرون بأن مصادر الكنيسة ومقدراتها غير مسخرة كما يجب لخدمة المجتمع المسيحي، فعلى الرغم من امتلاك الكنائس للكثير من العقارات، إلا أن الفرد المسيحي لا يتمتع بخدماتها، ولا يتم استغلالها على الوجه الصحيح، مما يخلق حالة من خيبة أمل لدى الفرد المسيحي تجاه مؤسساته وكنيسته، إضافة إلى ذلك، يقوم زعماء بعض الطوائف المسيحية ببيع ممتلكات الكنيسة في المدينة القديمة لغير المسيحيين والكنائس المسيحية، دون النظر في تأثير ذلك على الفرد أو المجتمع المسيحي. [98] وبحسب «عكروش» فإن غالبية الشباب ينظرون إلى الكنيسة بقدر كبير من التحفظ والشك، وحسب الدراسة فإن 78% من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 25-23 عاما يعتقدون أن هناك سوء إدارة للبرامج التي تقوم بها المؤسسات الكنسية، كما أن نسبة 61% للفئة 22-17 لديهم نفس الشعور تجاه الإدارة. [99]

الخلاف بين الطوائف المسيحية

الخلاف بين الطوائف المسيحية هو خلاف تاريخي قديم، وليس من السهل ايجازه، لكن يمكن تلخيصه في الخلاف الدائر حول كنيسة القيامة، ويقتبس «عارف العارف» في كتابه تاريخ القدس قول المؤرخ «آشبي» : « إن السلام الذي بشّر به السيد المسيح قد يظهر في أي مكان آخر، إلا بين جدران كنيسة القيامة حيث تأصلت العداوة والبغضاء بين الروم واللاتين والأرمن والأقباط وما إلى ذلك من الطوائف المسيحية المتناحرة».[100] وبحسب العارف فإن أوج الخلاف بين الطوائف كان في فترة الاحتلال الصليبي في العام 1099، فكانت كنيسة اللاتين هي المسيطرة فاستبدوا بالروم، وفي الفترة الأيوبية استرجع الروم ممتلكاتهم من اللاتين. وفي العام 1493 ظهر خلاف بين اللاتين والكُرج (الجورجيون) حول كنيسة الجلجلة، وفي أواسط القرن الخامس عشر بدأت منافسة الأرمن على المكان، واستمر هذا الخلاف طوال هذه القرون، إذ كان يصل أحيانا إلى حد العنف والضرب بين أبناء الطوائف المختلفة.[101]

97 Akroush, p.6.

98 Salman, p.106.

99 Akroush, pp.20-21.

100 العارف، ص 268.

101 العارف، ص 269-274.

إن الصراع بين الطوائف المسيحية المختلفة في كثير من الأحيان سواء على الأماكن المقدسة أم على الصلاحيات يفاقم من مشكلة الفرد المسيحي البسيط، ففي الماضي كان الزواج عادة لا يتم إلا بين أبناء الطائفة الواحدة نتيجة لهذه الخلافات، أما في العقود الأخيرة فالأمور تحسنت وباتت الطوائف تتزوج وتصاهر بعضها البعض، وربما هذه المشاحنات تؤدي إلى نفور بعض المسيحيين من المؤسسة الكنسية كما يفيد بعضهم بالمقابلات، فيقول أحد الشباب 28 عاما ويعمل في مجال السياحة: « أنا ما بعرف ليش هاي المشاكل كلها حول كنيسة القيامة هذا المكان مقدس ونحن لازم نحافظ على هذه القدسية».

كما أن هذه الصراعات تؤدي إلى إضعاف الموقف المسيحي، وغياب موقف موحد اتجاه التحديات المختلفة، سواء أكانت اتجاه السياسات الرسمية الإسرائيلية أم تجاه الممارسات التي يقوم بها بعض المسلمين أو غيرهم من سكان المدينة، هذا الصراع أيضا يؤدي إلى غياب قيادة مسيحية واضحة، تمكّن المسيحيين من مجابهة التحديات والأخطار والمشاكل التي تحدق بهم، وهذا ما يقوله «سلمان» بأن غياب قادة مسيحيين يمنع المسيحيون من الضغط من أجل تحقيق مصالحهم، وتجعل كل مجموعة منهم تقوم بما تراه مناسبا،[102] فيتشتت الصف المسيحي، وتغيب السياسة والقيادة الموحدة.

ضعف الرابط الديني لدى الشباب المسيحي

إن السببين السابقين وهما الفجوة بين المجتمع المسيحي ورجال الدين، والصراع بين الطوائف، أديا كما يبدو إلى ضعف الرابط الديني والانتماء للمؤسسة الكنسية، ويظهرهذا من خلال الاستطلاعات التي تم إجراؤها، إذ حسب مسح قام به مركز السبيل في عام 2006 ، فإن 81 % من المسيحيين في عموم إسرائيل وفلسطين بعيدون عن الكنيسة، وأن 74 % من الشباب المسيحي لا يوجد لهم أي ارتباط بالكنيسة،[103] وذلك يشير إلى أن الكثير من المسيحيين لا يمتلكون الخلفية والمعرفة الكافية عن التاريخ أو الثقافة المسيحية، وربما ينعكس ذلك على ضعف الانتماء للدين أو للثقافة أو للأرض.

أما حسب الدراسة الاستقصائية لـ «عكروش » في مدينة القدس، فإن هناك ضعفا في المعرفة بالمواقع الدينية المسيحية في القدس، وحسب الاستطلاع فإن 13% فقط لديهم معرفة جيدة عن هذه المواقع، في حين أن 58% قالوا أن معرفتهم محدودة جدا، و 28% صنفوا معرفتهم بمعرفة ضعيفة للغاية.[104]

وعلى الرغم من الخدمات التنموية والإنسانية العديدة التي تقدمها المؤسسات الكنسية في مدينة القدس إلا أن حضور الشباب المسيحي فيها ضعيف، وعلى الرغم من أن الشباب يمثلون أكثر من نصف المجتمع المسيحي في القدس إلا أن تأثيرهم ومشاركتهم في صنع القرار محدودة جدا، وعلى سبيل المثال فإن واحدا من كل ست مجموعات كشفية تقوم بعملية ديمقراطية لانتخاب قيادتها، أي ما يزال نظام التعيين هو السائد لدى المؤسسات الكنسية، كما أن نسبة التحاق الشباب بالنوادي والكشافة أقل بنسبة 10% من مجموع شباب القدس.[105]

صحيح أن الفجوة مع رجال الدين والصراع بين الطوائف على ما يبدو سببان رئيسان من أسباب الابتعاد عن المؤسسات الكنسية، لكن لا يمكن إهمال المشاكل والأسباب التي ذكرت سابقا، خاصة قضية تغييب التاريخ المسيحي عن الكتب المدرسية، فهذه الكتب التي يدرسها الطفل المسيحي

102 Salman, p. 147.

103 The Sabeel Survey on Palestinian Christians in the West Bank and Israel, 2006, p. 89.

104 Akroush, p.28.

105 Akroush, p.6.

ولا يوجد بها ذكر لتاريخه قد تجعله يبتعد عن الكنيسة، كما أن الشعور العام للمسيحيين بأنهم أقلية، قد يؤدي إلى تثبيطهم وعدم مشاركتهم داخل مجموعتهم.

الاستنتاج العام للبحث

لا يمكن فصل المشكلات التي حصلت للمسيحيين عبر العقود الأخيرة عن هويتهم وانتمائهم، فطردهم من بيوتهم خلال النكبة من المدينة، وما لحق بهم بعدها من مضايقات وسياسات كانت بسبب هويتهم العربية الفلسطينية، والهدف من ذلك جعل القدس مدينة يهودية خالصة، كما أن الهجرة الكبيرة للمسيحيين لم تكن من القدس فقط ، بل كانت من جميع المدن الفلسطينية التي فقدوا فيها عمقهم الديمغرافي، فاختفت أو قلت التجمعات السكانية المسيحية، مما أدى إلى شعور المسيحي بعدم الأمان أو الغربة داخل وطنه، فبعدما كانوا مؤثرين بشكل كبير في المدينة باتوا أقلية، ومما زاد من المشاكل هو غياب المسيحيين في عدة أماكن وتهميشهم خاصة في المناهج الدراسية، وتعرضهم أحيانا لمواقف عنصرية أو تمييز اتجاههم.

فهذه الظروف الخارجية مجتمعة مع الظروف الداخلية من الصراع بين الطوائف والفجوة مع رجال الدين، أدت إلى إضعاف أو تشتيت الهوية وجعلها معقدة، وهنا يمكن الاستنتاج حسب نظرية الهوية الاجتماعية لـ «تاجفل « أنه في حال كانت المجموعة مُستضعفة (مخترقة)، فقد يتصرف كل فرد حسب ما يراه مناسب ووفقا لمصالحه الشخصية، دون الرجوع أو التفكير في مجموعته.

لذا من أجل مساعدة المسيحيين في المدينة يجب البدء بحل المشاكل التي تواجههم، والتي تبدأ بوقف النزيف الديمغرافي الحاصل لهم، ومحاولة تثبيتهم في أرضهم واستغلال مقدراتهم وممتلكاتهم الاستغلال الصحيح.

آليات وحلول مقترحة

سنحاول اقتراح حلول للتحديات التي يواجهها مسيحيو القدس بناء على النظرية البيئية الاجتماعية في مستويات مختلفة:

على مستوى المنظومة المصغرة (Microsystem):

7. العمل على زيادة الفهم والوعي لدى الفرد المسيحي في القدس وخاصة الشباب منهم، بخطورة الهجرة وتأثيرها على مستقبل المسيحيين في المدينة وعلى أقاربهم من المسيحيين، وعلى مستقبل وتاريخ المدينة بشكل عام.

على مستوى المنظومة المتوسطة (Mesosystem):

8. العمل على تقليص الفجوة بين رجال الدين المسيحي من مختلف الطوائف والكنائس وبين رعايا الكنيسة، خاصة الشباب منهم، وذلك من خلال فعاليات ولقاءات قد تعزز الثقة والفهم بين الطرفين، وربما من خلال ذلك يمكن خلق قيادة موحدة ومؤثرة من خلال تمثيلها للشارع المسيحي، وتوافقها مع القيادة الدينية.
9. إقامة ورش عمل ونشاطات في داخل المؤسسات الكنسية، بهدف زيادة تأهيل الشباب المسيحي في الإدارة والتطوع، وتقوية الرابط بين الشباب المسيحي والهوية الدينية، وذلك داخل إطار المؤسسات الكنسية.

على مستوى المنظومة المحورية (Exosystem):

10. محاولة استغلال الموارد المسيحية التابعة للكنائس والمؤسسات المسيحية بالشكل الصحيح والسليم، الذي يعود بالنفع على المجتمع المسيحي المحلي، سواء أكانت عقارات أم أموالا، وذلك من خلال التشجيع على ريادة الأعمال، وعلى فتح مصالح تجارية تساهم في تثبيت المسيحيين في أرضهم وبيوتهم ومصالحهم.

على مستوى لمنظومة الكبيرة (Macrosystem):

11. زيادة الوعي لدى المجتمع المقدسي عامة حول المسيحيين وتاريخهم، وذلك من خلال إدخال التاريخ المسيحي للكتب الدراسية، وتناوله بشكل موضوعي بارز، ويكون ذلك من خلال التواصل مع المسؤولين عن المناهج في وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، والتوجه إليهم بشكل مباشر ومتكرر؛ من أجل القيام بالتغيير الواقعي والملموس في الكتب والمناهج الدراسية على الرغم من القيام بمحاولات سابقة، إلا أن الأمور بحاجة للمزيد من الجهود.

12. زيادة الوعي تجاه الوجود المسيحي في القدس وأهميته في النسيج الاجتماعي الفلسطيني والمقدسي، وأن مسألة تناقص أعدادهم تمس وتضر بالمدينة المقدسة في نواح متعددة: اجتماعية واقتصادية وسياسية، وجميع هذه النواحي تُضعف الطرف الفلسطيني والعربي في إدارة الصراع أمام الاحتلال الإسرائيلي.

13. في عام 2017 تم إقامة جسم تحت اسم «الشبيبة الطلابية المسيحية» وبعدها تحول اسمها إلى «شبيبة موطن يسوع» هذه الشبيبة بدأت بالربط بين أبناء الديانة المسيحية في مختلف المناطق والمدن الفلسطينية، ومن خلال المقابلة التي أجريت مع السيد رافي غطاس، الأمين العام للشبيبة المسيحية في فلسطين، فقد أشار إلى أن هذا الجسم قيد العمل على تهيئة الشباب المسيحي وربطه بتاريخه المسيحي وأرضه فلسطين، والعمل على منع التقوقع والعزلة لأبناء المجتمع المسيحي.[106] لذا يجب دعم هذه المبادرات ومد يد العون لها، من جميع الأطراف الرسمية وغير الرسمية، ومن مؤسسات المجتمع المدني.

14. إقامة أنشطة لكسر الحواجز بين المسلمين والمسيحيين في القدس وخارجها، وذلك عن طريق فعاليات رياضية واجتماعية وثقافية، ومن خلال المناسبات والأعياد الدينية، وعلى الرغم من وجود نشاطات مشابهة هنا وهناك، إلا أنه يجب العمل على تكثيفها وزيادتها.

15. تنظيم فعاليات ثقافية ودينية مفتوحة للعامة تشمل المسيحيين والمسلمين مثل المهرجانات والمؤتمرات، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه خلال النقاش الدائر في المجموعة البؤرية للبحث، تم ذكر أن بعض الأطراف المسيحية قد تحفظت على إقامة نشاطات مفتوحة للعامة، وذلك درءاً للمشاكل التي قد تحصل بسبب الاحتكاك، وتعود هنا إلى الواجهة قضية العزلة التي أشرنا إليها آنفاً، ومحاولة مد الجسور بين أبناء المدينة المسلمين والمسيحيين من أجل كسر هذه العزلة.

16. يوجد في القدس اثنتا عشرة مدرسة كنسية، يمكن استغلال هذا المدارس كقاعدة لزيادة السلم الأهلي والتفاهم بين المسيحيين والمسلمين الذين يُشكلون النسبة الأكبر من الطلاب داخل هذه المدارس، وذلك من خلال إدخال مواد تعليمية وإقامة ورش تعليمية وفعاليات ونشاطات مشتركة داخل المدرسة ومع المدارس الأخرى، مثل مدارس الأوقاف الإسلامية ،ومدارس البلدية التي تضم غالبية الطلاب في المدينة، في محاولة لكسر الحواجز بين الطلاب والتقريب بينهم.

106 مقابلة أجريت مع السيد رافي غطاس، الأمين العام للشبيبة المسيحية في فلسطين بتاريخ 05.09.2020.

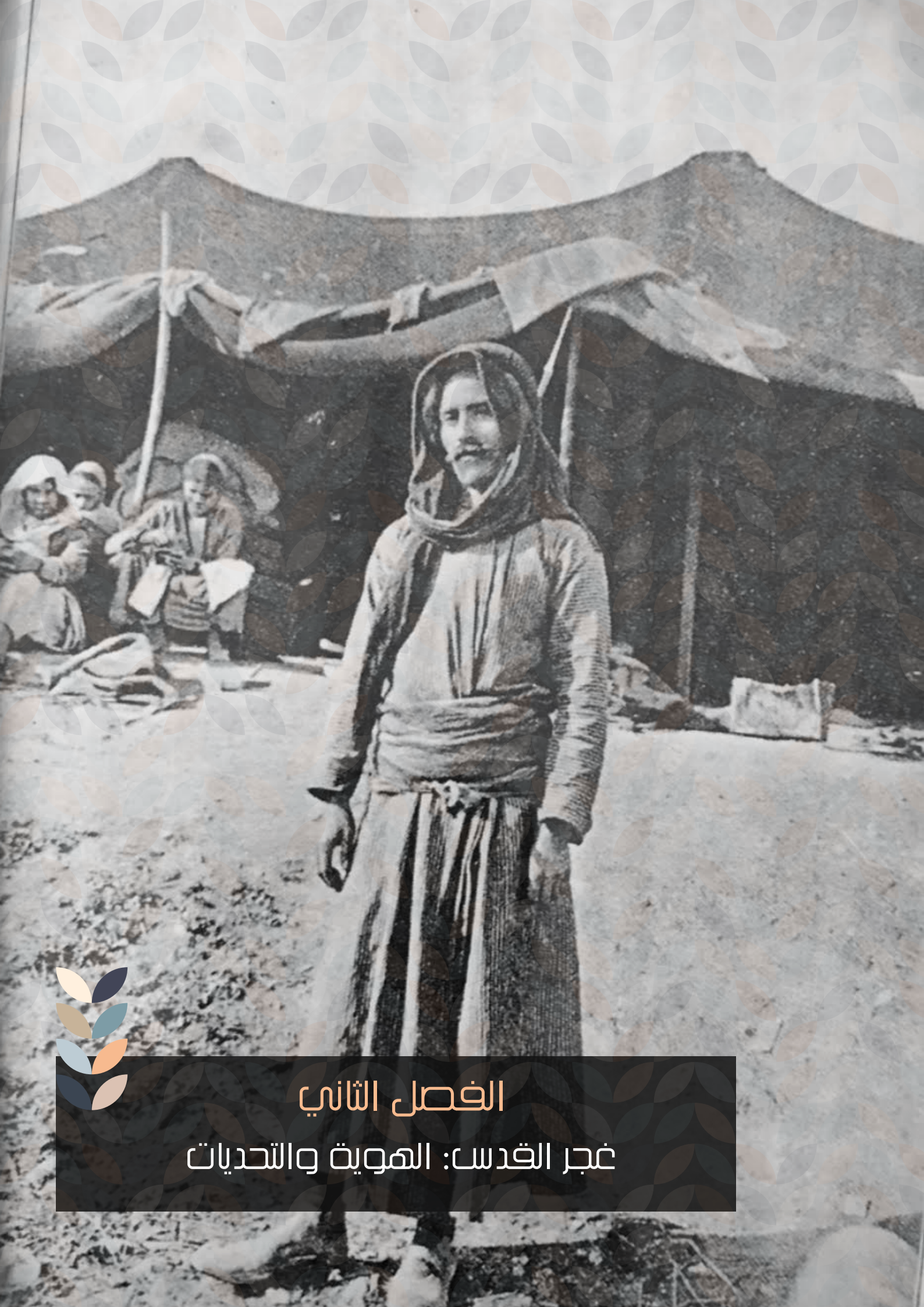

الفصل الثاني

غجر القدس: الهوية والتحديات

المقدمة

إن ما يميز مدينة القدس عن غيرها من المدن الفلسطينية هو تنوعها العرقي والديني، إذ يعيش في بلدتها القديمة الكثير من الأقليات والجماعات التي استقرت في المنطقة منذ قرون خلت، وما زالت تعيش فيها حتى يومنا هذا. وأدى هذا التنوع في المدينة إلى الاندماج الكلي أو الجزئي أحياناً بين أفراد مجتمعه، دون الحاجة لأن تقوم أي مجموعة إثنية أو دينية خلال سنوات عيشها في القدس بالتخلي عن هويتها العرقية أو الدينية في سبيل إثبات التبعية والانتماء للمجتمع، فاحتفظت كل مجموعة بطريقة عيشها، ولغتها، وثقافتها، وعاداتها التي نشأت عليها قبل هجرتها إلى المدينة، فكان مجتمعا متناغما كألوان الطيف المتعددة، متميزا بتعايش العديد من الأقليات التي وفدت من المغرب العربي، ووسط أفريقيا، والقارة الهندية، وآسيا الصغرى ومن شتى بقاع الأرض، فمنهم من جاء محارباً مجاهداً منضماً لجيوش الفتح الإسلامي، ومنهم من جاء للتعبد والزهد، وبقي في إحدى الزوايا الصوفية المنتشرة في المدينة وتكاثرت ذريته، ومنهم من لجأ إلى المدينة طالبا الأمان والاستقرار له ولعائلته.

ويتناول هذا البحث واحدة من الأقليات العرقية التي كانت وما زالت تشكل جزءاً من النسيج السكاني لمدينة القدس، وهي عشيرة الغجر التي تُعد إحدى المجموعات المهاجرة التي وصلت المدينة المقدسة قبل مئات السنين، واستطاعت الحفاظ جزئياً على هويتها الثقافية وعلى نمط حياتها.

إلا أن حفاظ الغجر على عاداتهم وطريقة عيشهم، لم يمنعهم من التأثر بنمط العيش المقدسي العام، واكتساب عادات وتقاليد جديدة للتكيف مع الأكثرية في المجتمع المقدسي، سواء في طريقة اللباس، أوالكلام، أوالعادات الاجتماعية في الأفراح والأتراح وغيرها، وعلى الرغم من فرص الانسجام والاندماج في المجتمع المقدسي -كما أوضح الكاتب الاسرائيلي ينيف، في كتابه حول عشيرة الغجر أو كما تُعَرّف في القدس بـ «عشيرة النَّور" و تقطن حالياً في أحياء مثل البلدة القديمة ومخيم شعفاط وراس العامود- فإن العشيرة ما زالت تعيش في عزلة نسبية عن المجتمع المقدسي،[107] وما زالت هناك قيود وتحديات تمنع اندماج أفرادها بشكل كامل داخله.

مشكلة البحث

في خضم الحياة المعقدة التي يعيشها أبناء القدس عامة، تواجه بعض المجموعات تحديات وعقبات إضافية خاصة بها، ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها: تهميش الأكثرية لها وعدم الاكتراث بها، وسوء وضعها السياسي والاقتصادي، وازدواجية الهوية كما هو الحال في الأقلية الأرمنية مثلاً. ويتناول هذا البحث «العشيرة الغجرية»، ويعرض أبرز ما يميزها، وأهم ما يشكل هويتها وثقافتها، كما سيتم عرض التحديات الخاصة بها كأقلية في المجتمع المقدسي، وذلك لإثارة النقاش حول تلك التحديات، واقتراح حلول قد تساهم في تحسين وضعها.

نجد عند البحث في تاريخ العشيرة روايات مختلفة حول نشأتها، وتاريخها، ومسار هجرتها، ولم تتوفر رواية واحدة يمكن الاستناد عليها في تحديد ما سبق، كما أن إشكالية التسمية التي قد ترتبط بالخلفية التاريخية للعشيرة -غير المتفق عليها- هي إشكالية بحد ذاتها، فهل الغجر أو النور أو الدوم هم ذات المجموعة العرقية؟ أم هي مجموعات تختلف في أصولها ونشأتها؟ وإن كنا نتحدث عن نفس المجموعة، فلماذا لا توجد هناك رواية واحدة تُفسر نشأتها ومسار هجرتها إلى المدينة؟ أسئلة سنحاول التطرق إليها في بحثنا.

107 يعكوف، ينيف، الغجر في المناطق الجبلية في جنوب فلسطين والقدس، ص 5.

إن الأبحـاث الاجتماعيـة والاقتصاديـة والثقافيـة حـول هـذه العشـيرة شـحيحة للغايـة، فالدراسـات وخصوصاً الإسرائيلية في هذا المجال تحدثت عن نمط حياة أفراد العشيرة، وعن التحديات السياسية والاجتماعيـة التـي واجهتهـا خـلال المئـة عـام الماضيـة، ومـا زالـت تواجههـا خصوصـاً فـي الحقبـة الإسـرائيلية، أمـا المصـادر العربيـة التاريخيـة فتحدثـت غالبـا عـن نشـأة تلـك الأقليـة.

إن واقـع حـال العشـيرة فـي المدينـة المقدسـة، ووضعهـا الاجتماعـي والاقتصـادي، وشُـح الدراسـات حولهـا، يجعـل مـن هـذه الورقـة البحثيـة ورقـة مهمـة كونهـا تسـلط الضـوء علـى مجموعـة عرقيـة، طالمـا هُمشـت مـن قبـل المجتمـع الفلسـطيني عمومـاً، والمقدسـي خصوصـاً.

أهداف البحث

إن غـرض هـذا البحـث هـو التعريـف بهويـة عشـيرة الغجـر الوطنيـة والاجتماعيـة فـي القـدس ومميزاتهـا، ومـدى شـعور أبنـاء العشـيرة بالانتمـاء للمجتمـع الفلسـطيني والمقدسـي، إضافـة الـى عـرض تحدياتهـا ومخاوفهـا، فـي محاولـة لاقتـراح حلـول قـد تسـاهم فـي تحسـين واقـع حـال العشـيرة.

منهجية البحث:

يعتمـد البحـث علـى المصـادر والمراجـع التاريخيـة، والتقاريـر والدراسـات المتوفـرة حـول الغجـر، كمـا يعتمـد علـى المقابـلات الشـخصية النصـف مبنيـة التـي أجراهـا الباحـث مـع بعـض الشـخصيات البـارزة فـي العشـيرة، ومـع بعـض الشـباب، إضافـة الـى جمـع المعلومـات مـن خـلال المجموعـات البؤريـة.

تـم اتبـاع المنهـج الكيفـي فـي هـذا البحـث، حيـث تـم اسـتنباط الموضوعـات Themes مـن مضاميـن المقابـلات والمجموعـات البؤريـة، وفُسـرت النتائـج بنـاء علـى فهمنـا النظـري الـذي يسـتند إلـى نظريتيـن أساسـيتين تـم اختيارهمـا لكونهمـا تتحدثـان عـن اسـتراتيجيات التكيـف للمهاجريـن واللاجئيـن، إضافـة إلـى نظريـة الثقافـة المحاصـرة، وأثـر ذلـك علـى تكويـن الهويـة الوطنيـة والثقافيـة، التـي تـم التطـرق إليهمـا فـي الخلفيـة النظريـة للبحـث فـي البدايـة.

محدوديات البحث:

برزت العديد من التحديات خلال إعداد البحث حول عشيرة الغجر (الدوم/النور) في القدس، أهمها:

1. شُـح المصـادر الموجـودة عـن عشـيرة الغجـر فـي فلسـطين عامـة وفـي القـدس خاصـة، فغالبيـة المصـادر الموجـودة تخـص الغجـر بشـكل عـام فـي مناطـق أخـرى مـن العالـم، أو الغجـر فـي أوروبـا، فـكان العثـور علـى بحـوث شـاملة وحديثـة أمـرا صعبـا.
2. التواصـل مـع بعـض أفـراد العينـة المختـارة لهـذا البحـث شـكل تحديـاً للباحـث، فالتواصـل لـم يكـن سلسـا دائمـاً، خاصـة مـع نسـاء العشـيرة، وهـذا قـد يكـون بسـبب كونهـا مجموعـة محافظـة اجتماعيـا.

الخلفية النظرية:

مقدمة

1.1. تسمية العشيرة (غجر- دوم - نُور)

هناك نقاش غير محسوم حول تسميتها، وحول التسمية المناسبة التي يجب أن تطلق على العشيرة التي تعيش في مدينة القدس، إذ يسميها البعض «الغجر» المرادفة لكلمة « Gyp-sy"وهي –بحسب بعض الآراء- تحريف لكلمة Egypt، إذ يُعتقد أن العشيرة قدمت من مصر.[108] وهناك من يعتقد أن أصل كلمة «غجر» حسب بعض الروايات الشفهية يعود لكلمة «هجر» نسبة لكثرة الهجرة والتنقل.[109] ويجب الإشارة إلى أن بعض من تم الحديث معهم في المقابلات النصف مبنية، خاصة الشباب تحفظوا على التسمية، وطالبوا باعتبارهم كأي مجموعة مقدسية أخرى غير مصنفة تنتمي إلى هذه المدينة كونهم سكان أصليون، لا يختلفون عن غيرهم من المقدسيين، ولا توجد هوية عرقية تميزهم عن بقية عائلات القدس وعشائرها.

أما مصطلح « النَّور" والتي هي مفرد كلمة " نَوَري" بحسب المعلوف، مُحرفة عن كلمة « لوري"، وهي إحدى أهم قبائل الغجر التي نزحت من الهند.[110] وهناك من يرى بأن أصل التسمية مرتبط بمجموعة « النُوريين» نسبة إلى القائد نور الدين زنكي،[111] ومع مرور الزمن بات يطلق عليهم «النّور». وهناك من يسمي العشيرة بعشيرة «الدوم» لاعتقادهم بأنهم ينتمون لعشيرة «الدوم» وهي تعني «الرجل» وتعود أصول الكلمة إلى إحدى العشائر الهندية أيضاً.[112]

وسوف يقوم هذا البحث باستخدام التسميات السابقة، حسب السياق الذي يتطرق للأقلية؛ إلا أن كلمة «غجر» وبالرغم من إشكالياتها، ستكون الكلمة الأبرز في هذا البحث، وذلك بسبب توافقها مع أغلب المصادر البحثية والأكاديمية، حتى وإن تغير اسم العشيرة من مكان إلى آخر في أرجاء العالم المختلفة. ولن نستخدم لفظة النّور في تسميتهم، لما تحمله من ظل سلبي لدى البعض، إذ تستخدم في الخطاب العام لدى المقدسيين بهدف الإساءة، كما لن نستخدم أيضاً تسمية الدوم أو الدومري كونها كلمة غير معروفة لدى الكثيرين .

2.1. تاريخ الغجر في العالم

تختلف الآراء حول أصل الغجر، وذلك بسبب توزعهم في مناطق كثيرة حول العالم، فالحَمَد يرى أن الغجر يُعدّون من المجموعات البشرية مجهولة التاريخ، فهم ينقسمون إلى عدة أعراق وذلك حسب البلد أو الدولة التي عاشوا فيها. ويعتقد البعض أن جذورهم تمتد إلى الهند، وذلك بسبب سماتهم ولون بشرتهم المائل إلى السمرة بالإضافة إلى النحافة والقصر، وهي بعض الصفات الجسدية التي تتشابه مع سكان القارة الهندية، وعددهم في العالم بحسب الحَمَد لا يتجاوز الأربعة عشر مليونا.[113]

108 ينيف، ص 5.

109 مقابلة أجريت مع المختار عبد الحكيم سليم في بيته بتاريخ 20 يوليو 2020.

110 عيسى، المعلوف، تاريخ الاسر الشرقية، (رياض الريس للكتب والنشر، بيروت: لبنان، 2007) ص 182.

111 نور الدين زنكي (1118-1174) هو أحد القادة والولاة السلاجقة الذين حكموا امارة حلب، بعد ذلك توسع نفوذه إلى دمشق والموصل وبعلبك. ويعد زنكي أحد اهم القادة الذين حاربوا الحملات الصليبية، وتعود رمزيته لتمهيده فتح القدس قبل مجيء صلاح الدين الأيوبي.

112 جمال، حيدر، الغجر ذاكرة الاسفار وسيرة العذاب، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: بيروت، 2008). ص 25-26.

113 محمد، الحمد، الاعراق والطوائف السورية (التاريخ والعقيدة والتوجه)، (دار الطليعة الجديدة، سورية، دمشق، 2006). ص 361.

يعتقد حيدر بأن الغجر بدأوا بالانتقال إلى شرق أوروبا في القرن التاسع الميلادي، حيث وصلوا بداية إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية، ومن هناك انتقلوا إلى بحر إيجة الفاصل بين تركيا واليونان، واتجه بعضهم واستقر في جنوب اليونان، وأبحر جزء منهم في البحر المتوسط ووصل إلى اسبانيا عبر مضيق جبل طارق، وبسبب نمط حياتهم وعملهم بالشعوذة والسحر، وبسبب الأفكار النمطية التي كانت سائدة حولهم صدرت ضدهم الكثير من التشريعات المجحفة والقاسية، الأمر الذي تسبب بالحد من فرصهم في العيش الكريم، وتدهور أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، ونتيجة لمواقف المجتمعات الأوروبية السلبية ضدهم آنذاك والتي تمثلت بالرفض الاجتماعي لهم، فقد صدر في اسبانيا مثلاً قانون عام 1499 يجبر الغجري على الاستقرار خلال شهر، وإن لم يفعل ذلك يتم طرده من البلاد. كما وبحسب المصدر السابق استمرت رومانيا حتى عام 1856 بالتعامل مع الغجر كعبيد لأصحاب الأراضي وملاّكها، الذين كانوا يملكون صلاحيات تصل إلى قتل أبناء الغجر.[114]

يقول المعلوف بأن أصل الغجر قد يرجع إلى السلالة الآرية من قبائل هندية أو فارسية أو كردية. كما يوجد منهم من يقيم في بلاد فارس حيث يتكلمون بلغة الغجر، ويرتحلون من هناك إلى روسيا، ومنها إلى أوروبا، ومن ثم إلى كردستان، ثم إلى تركيا.[115]

وتعتقد بعض القبائل العربية بأن الغجر قدموا من الهند إلى البصرة بعد فتح منطقة السند (باكستان اليوم) في العصر الأموي، بعدها تعرضوا لبعض القلاقل، حيث كان يطلق عليهم آنذاك اسم قبائل "الزط"، وفي أيام المعتصم[116] قُتّل بهم ولوحقوا، كما هاجمهم البيزنطيون وأسروهم، ومن هناك انتشر الغجر في شرق أوروبا (كما ذكر آنفا). وامتهن الغجر الرقص والغناء لكسب قوت يومهم، ولاحقا عمد السكان لنسبهم إلى الجن، وشاعت عنهم الأساطير التي بدأت تترسخ مع ازدياد عمل الغجر بالشعوذة والسحر.[117]

3.1. الغجر في البلاد العربية وفي فلسطين

استقبلت المنطقة العربية أوائل الغجر في بدايات القرن الخامس الميلادي، حيث قدمت قبائلهم من الهند واستقرت في السواحل الواقعة جنوب إيران والبحرين والعراق.[118] أما اليوم فتتوزع جماعات الغجر في جميع أنحاء البلاد العربية، ويوجد لها عدة تسميات تطلق عليها، من أهمها النَّور في بلاد الشام ومصر، والكاولية في العراق، والحلب في صعيد مصر والسودان، والزط في الجزيرة العربية، وغيرها من التسميات. عاشت قبائل الغجر في السواحل الممتدة من جنوب العراق وإيران والبحرين. وعرفهم العرب قبل الإسلام، ثم أسلموا ودخلوا في ولاء مع عشيرة تميم[119]، ووصل جزء منهم بعد ذلك إلى بلاد الشام،[120] حيث أن قسما منهم ما زال يعيش في الأردن حياة التنقل.[121]

114 حيدر، ص 26-25.

115 المعلوف، ص 173.

116 المعتصم بالله (796-842) وهو ثامن الخلفاء العباسيين.

117 الحمد، ص 362.

118 حيدر، ص 72.

119 عشيرة عربية سكنت في نجد واليمامة والعراق والكويت والبحرين.

120 حيدر، ص 71.

121 ينيف، ص 5.

وهناك اعتقاد بأن جماعات الغجر التي تسكن فلسطين جاءت من مصر، واسمهم المتعارف عليه هو "النَّور" لكن بعضهم يطلق على نفسه "الدوم"، وتعني في لغة الغجر «الرجل» أو الشخص.[122] لم يختلف الوضع في فلسطين عنه في أوروبا، فقد كان الفلسطينيون والمقدسيون متحفظين في التعامل معهم، وابتعدوا عن مخالطتهم، فمثلاً عندما تُطلق صفة «نوري» على شخص ما، فإن ذلك يكون بهدف الإساءة إليه.

أما في التاريخ المعاصر، وخلال فترة الانتداب البريطاني لفلسطين، ترى الكاتبة يافا أن الغجراستوطنوا يافا والقدس وغزة، وكانوا يعيشون في الخيام ويتنقلون من مكان إلى آخر، وقد هرب بعضهم من يافا إلى بعض الدول العربية، بعد شكوك الانتداب البريطاني بقيامهم بإخفاء السلاح لاستخدامه ضد الانتداب، في حين هرب البعض الآخر بعد النكبة [123] في عام 1948 من يافا إلى الأردن والعريش، ومن العريش إلى مصر. أما خلال النكسة[124] في عام 1967 فقد قام الجيش الاسرائيلي بضرب الخيام التي يسكنها غجر القدس بالأسلحة النارية، إذ ادّعى الجيش الاسرائيلي حينها أنهم اعتقدوا أن هذه الخيام ثكنات للجيش الأردني . ومع مرور الزمن، ترك الغجر العيش في الخيام وأصبحوا يعيشون داخل بيوت ثابتة مبنية من الاسمنت،[125] وهم يسكنون حاليا منطقتين رئيستين، هما غزة والقدس.

4.1. نمط عيش الغجر في الماضي

عرف عن الغجر في فلسطين العمل في صناعة الملاقط والقداحات والشواكيش والخواتم والمقصات، أما نساؤهم فكُن في الماضي يرتدين ملابس قريبة من التي ترتديها النساء في جنوب فلسطين، وتميزن بارتداء الأقراط والخلاخيل المطلية بالذهب، وغالبا ما كانت الغجرية تقوم بإضافة لمسة جمالية على مظهرها، من خلال رسم الأوشام على أجزاء عديدة من جسدها، بهدف التأكيد على قدرتها على معرفة الطالع والتنبؤ به.[126]

5.1. الغجر في القدس:

تتكون عشيرة الغجر في القدس من ثلاث عائلات رئيسة: سليم ونمر وبعراني، ويوجد أيضا عائلات ثانوية مثل شاكر ونوري، لكن جميع هذه العائلات الصغيرة تتفرع من العائلات الثلاث الرئيسة. بحسب يافا، فإن غجر القدس عاشوا قبل أكثر من مائة عام في منطقة وادي الجوز الواقعة شمال شرق البلدة القديمة، بعدها بدأوا بالانتقال للسكن داخل الأسوار، بالأخص في حي برج اللقلق وباب حطة في شمال شرق البلدة القديمة، وانتقلوا بعدها للعيش في مناطق أخرى مختلفة خاصة في منطقة راس العامود وعناتا والعيزرية وأبو ديس وحزما.[127] في بدايات القرن العشرين عاش في القدس ألفي شخص من أبناء عشيرة الدوم، أما اليوم وبحسب التقديرات قد يصل العدد إلى زهاء 25000 شخص.

122 Jennifer, Petrson, The last Migration? Jerusalem's gypsy community, 2003, P.44.

123 وهي الكارثة التي حصلت للشعب الفلسطيني في العام 1948 وذلك بطردهم من أراضيهم وقيام دولة الاحتلال الاسرائيلية على انقاضها.

124 وهي استمرار احتلال الجزء المتبقي من فلسطين من قبل الاحتلال الاسرائيلي واحتلال هضبة الجولان السورية والجنوب اللبناني وصحراء سيناء المصرية.

125 أهارون، يافا، «الغجر في القدس»، المجلة الدورية: توجهات جديدة، ملحق 21، 2009، ص 232.

126 حيدر، ص 92.

127 يافا، ص230.

6.1. اللغة

بحسب شيلر، تحدث الغجر قديما في القدس لغة «النوري» وهي لغة محكية غير مكتوبة أصلها منطقة وسط آسيا، لكنها تأثرت باللغة العربية من خلال تأثر الغجر بمحيطهم العربي، فأصبحت تحتوي كلمات عربية، ومع مرور الزمن بدأت اللغة بالاندثار شيئا فشيئا، ولم يعد يتكلمها إلا كبار السن من أبناء العشيرة. أما الصغار فنسوها بالغالب مع بدئهم الدراسة في المدارس كونهم يتعلمون اللغة العربية قراءةً وكتابة ومحادثة، فهي لغة التواصل مع محيطهم المقدسي. كما أطلق بعض العرب على هذه اللغة وصف لغة العصافير؛ وذلك لعدم فهمهم لها.[128]

ومن الأمثلة على اللغة الغجرية: اما دومهرني: نحن الغجر / جش دية وتنوماني: جميع البلدات وطننا / فرشومن بيتي: فراشنا الأرض/ وغطميومن سمك: وغطائنا السماء. الي كهندوري اتن بجياري جرجوس: من ينظر بعينيه إلى الأعلى تكسر رقبته.[129]

7.1. الثقافة

للغجر موسيقى وأغان فولكلورية باللغة النورية، كان يغنيها كبار السن في الأفراح والمناسبات، كما كان يقوم رجال الغجر بعروض موسيقية، يغنون فيها ويعزفون على الربابة أو المزمار، إضافة إلى إقامة عروض الخفة والسحر.[130] وفي القصص الخاصة بالغجر تُمدح المرأة الغجرية بحسنها وجمالها ورقصها الجميل، وبكثرة مَن يغازلها، وبالمغامرات التي تقوم بها أثناء هروبها من عائلتها.[131]

يمتلك الغجر لباسا تراثيا خاصا بهم يصنع عادة على يد النساء الغجريات، ويتميز بالألوان الزاهية واللافتة للنظر، كما يصنعون الحُليّ والأقراط اليدوية الخاصة بهم، وقد تأثر الغجر كثيرا بالثقافة العربية والإسلامية في القدس، وبدأت ثقافتهم بالاندثار مع مرور الزمن، وباتت طقوسهم اليوم وعاداتهم شبيهة بشكل كبير بعادات الأغلبية المسلمة التي تعيش في مناطق سكناهم.

8.1. القيادة

يذكر « شيلر» رواية شيخ الغجر محمد ذيب سليم، وكيف اختارت العشيرة عائلته لتقود العشيرة، فحسب روايته في عام 1906 قام جده وباقي العشيرة بالركوب على الحمير والخروج من القدس متوجهين إلى منطقة الخليل، واستقروا في الخليل مدة ثلاثة أشهر من أجل العمل وكسب الرزق، في ذلك الوقت أصيب جده إبراهيم سليم بمرض أودى بحياته، فقرر أبناؤه دفنه في مدينة القدس، فوضعوه على عربة وساروا به حتى وصولهم إلى المقبرة القريبة من شارع صلاح الدين في القدس ودفنوه هناك، بعد وفاة جده تجمع جميع أعضاء العشيرة في بيت مختار قرية أبو غوش،[132] واختاروا أحد أبناء إبراهيم سليم وهو عبد إبراهيم سليم ليصبح مختارا للعشيرة، وكانت معرفته القراءة والكتابة السبب في اختياره قائدا للعشيرة. خلال الانتداب البريطاني للقدس سكنت

128 إيلي، شيلر، طوائف وأقليات في البلدة القديمة (إصدار اريئيل، القدس)، ص 79.

129 ينيف، ص 15.

130 شيلر، ص 80.

131 ينيف، ص 16

132 قرية عربية تقع في الشمال الغربي من مدينة القدس

العشيرة حي الترجمان[133] الواقع بين حي المصرارة وحي ميئه شعريم. وفي حادثة يذكرها شيلر في العام 1920، حيث كانت هناك احتفالية لدى أحد الغجر حضرها فلسطينيون ويهود، وبعد أن ثمل بعض الحاضرين من اليهود بدأ شجار كبير، قام خلاله الغجر برمي الحجارة على اليهود، وفي هذه اللحظات مر الحاكم العسكري البريطاني للقدس حينها الكولونيل رونالد ستورز وحاشيته، فشاهدوا المختار إبراهيم سليم وهو يقوم بتهدئة الشباب الغجري، فطلب منه ستورز الحضور إلى مكتبه في اليوم التالي، حيث عينه مختارا للعشيرة وسلمه وثيقة تفويض مازالت بحوزة إبراهيم سليم راوي القصة -حسب روايته- وبقي إبراهيم المختار حتى وافته المنية شهر ديسمبر/ كانون الأول لعام 1956. ثم اجتمع أبناء العشيرة وتم اختيار محمد مختاراً للعشيرة خلفا لأبيه، وفي العام 1957 تم تعيينه رسميا من قبل محافظ القدس الأردني حينها.[134] في العام 1968 حصل محمد إبراهيم سليم على مكتوب من رئيس بلدية الاحتلال الإسرائيلي في القدس وفيه تفويض ليكون منسقا لشؤون الغجر مع البلدية في مناطق سكناهم.[135] ومنذ العام 2006 وبعد وفاة محمد إبراهيم سليم، تولى عبد الحكيم سليم منصب مختار العشيرة، وبحسب عبد الحكيم سليم فقد تولى المنصب من خلال الانتخاب، ولم يكن تعيينا.[136]

9.1. المجتمع المدني

لا يوجد في القدس سوى مؤسسة واحدة تُعنى بشؤون الأقلية الغجرية، وهي «مؤسسة الدومري للغجر في القدس»، التي تأسست في العام 1999، وهي مؤسسة مقدسية غير ربحية متفردة، تُعنى بشؤون الغجر وتهدف لدعمهم ومحاربة الفقر لديهم، ومجابهة التمييز الذي يتعرضون له، والتهميش الثقافي الذي يعانون منه، تدير المؤسسة اليوم السيدة أمون سليم، وتقع مكاتبها في حي شعفاط شمال البلدة القديمة. تنفذ المؤسسة مشاريع لدعم عمالة المرأة وبرامج لأطفال الغجر؛ من أجل دعمهم وزيادة الوعي والتعليم والثقافة لديهم، كما تقوم المؤسسة ببيع الأشغال والمنتجات اليدوية التي تصنعها النساء الغجريات من أجل دعمهن اقتصادياً، وتعمل كذلك على الحفاظ على التراث الغجري وعلى اللغة الغجرية.[137] من جهة أخرى، ومن خلال بعض المقابلات يعتقد بعض أفراد العشيرة بأن مؤسسة الدومري لا تقدم الكثير لهم، ولا تساهم في تحسين حال أفراد العشيرة، بل تركز على فئة معينة من الفتيات والمستفيدين، ولا يصل تأثيرها وفعاليتها للجميع، وهذا حسب ما قاله البعض.

133 أراضي الحي اليوم لم تعد قائمة بعد توسع حي مئة شعريم لليهود المتدينين على حساب أراضيه.

134 شيلر، ص 81.

135 ينيف، ص 29.

136 مقابلة أجريت مع المختار عبد الحكيم سليم في بيته بتاريخ 20 يوليو 2020.

137 https://www.domarisociety.com/

النتائج والنقاش

سيتم بناء النقاش في هذا البحث بناء على الموضوعات Themes التي استطاع الباحث استنباطها من الحديث مع بعض الشخصيات البارزة من أبناء وبنات العشيرة، مثل المختار ومديرة مؤسسة الدومري، إضافة الى مجموعة من المقابلات أجريت مع الشباب، إضافة إلى ما توصل إليه الباحث من نتائج من حواره مع المجموعة البؤرية التي تكونت بالأساس من نساء العشيرة.

الهوية العرقية الثقافية

عند السؤال عن تاريخ العشيرة في المجموعتين البؤريتين، لم نحصل على جواب واضح من المشاركين، حيث اكتفوا بالإشارة إلى أنهم جاؤوا إلى البلاد في فترة نور الدين زنكي أو صلاح الدين الأيوبي، أما عند السؤال عن اللغة النورية، فلم يعرف أي من المشاركين في المجموعتين البؤريتين التحدث بها، وهذا عكس ما ذكر في الأدبيات السابقة، بأن أفراد العشيرة يتحدثون لغة خاصة بهم، وربما كان ذلك صحيحاً حتى النصف الأول من القرن العشرين، ولكن بسبب واقع الحال اليوم، وحسب المجموعات والمقابلات التي أجراها الباحث، فإن قلة من أبناء وبنات العشيرة يعرفون التحدث بتلك اللغة، وقد قالت امرأة تبلغ من العمر 51 عاما: «أنا بعرف كم كلمة باللغة النورية، لغتنا بتشبه اللغة الهندية»، أما شابة أخرى تبلغ 27 عاماً، تفاجأت من السؤال وردت بقولها: «ليش هو في لغة نورية؟ أول مرة بعرف بالموضوع» فهي لم تعلم أن هناك لغة خاصة بالعشيرة، أو أنها تنكر معرفتها بذلك كسلوك يُفهم منه عدم الرغبة بالانتماء لهذه الثقافة. وبحسب سيفان، تندفع المجموعات المُحاصَرة تجاه مجتمع الأكثرية فتتبنى عاداته وتقاليديه ولغته، ومع مرور الزمن تتلاشى معالم الهوية الثقافية الأصلية وتتطور هوية تتقارب مع هوية الأغلبية، خاصة إذا ما كان هناك الكثير من القواسم المشتركة بين المجموعات، كمكان السكن والخلفية الدينية، وغير ذلك. أما بيري فإنه يفسر هذه الظاهرة باستخدام العشيرة لاستراتيجية الانخراط التام والذوبان في المجتمع المقدسي، كنوع من طرق التكيف والتأقلم مع البيئة الحاضنة.

أما على مستوى الأفراد فكان واضحاً رغبة الشباب في الانسلاخ عن هويتهم العرقية، في سبيل هوية جامعة تشعرهم بالانتماء والاعتزاز لمجتمع أفضل -حسب وجهة نظرهم-، إلا أن الحاجة إلى

التمايز قد ظهرت جلية لدى البعض، فخلال إحدى المقابلات وعلى سبيل المثال، عند سؤال شابة تبلغ من العمر 20 عاما عن المشاكل التي تواجهها الفتيات في العشيرة، باتت تتكلم وتفتخر بعائلتها واصفة إياها بأنها : «عائلة مثقفة، مش زي كثير من عائلات العشيرة مش متعلمين». وشاب آخر يبلغ من العمر 28 عاما، تكلم بضمير الغائب عن عشيرته في أجزاء من المقابلة خاصة عند سؤاله عن مشاكل العشيرة «هم عندهم مشاكل كثيرة... لازم يحسنوا من وضعهم». لربما كانت نظرة المجتمع المقدسي المتطرفة والمسيئة لعشيرة النور على مر السنين، الدافع الرئيس وراء رغبة الشباب بالتنصل من مجموعتهم العرقية خاصة أولئك المسببون للمشاكل، والمشوهون سمعة العشيرة، ومن الواضح أنهم يسعون للانتماء لمجتمع يرونه أفضل. تصبح هذه القضية مفصلية لدى الشباب خاصة في فترة المراهقة، وأثناء بلورة الهوية الشخصية لدى المراهق.

هناك رأي في موضوع الهوية العرقية تجسده أمون سليم (44 عاما)، تقول فيه: " ثقافتنا تعتبر من أجمل الثقافات الموجودة، لكن اندماجها مع مجموعات ومجتمعات أخرى أدى إلى فقدان جزء من هذه الثقافة التي كانت متبعة داخل العشيرة، لذلك أنا قررت ومن خلال هذا المركز إرجاع كل ما كانت جدتي وأمي تفتخران به من ثقافة، لذا نحنا كمركز نحاول توعية الجيل الشاب لأهمية هذه الثقافة وتوريثها له بالطريقة الصحيحة، خاصة وأن الجيل المتقدم بالسن الذي يحمل هذه الثقافة ويفهمها ويعرفها بشكل جيد بدأ يختفي. بدأت افتخر بالحضارة الدومرية الموجودة منذ أربعمائة عام في فلسطين، فمن ضمن ما نقوم به اليوم في المركز هو إرجاع اللبس الدومي القديم، فأنا أريد أن أتنقل بين الدول المجاورة مثل الأردن وسوريا ولبنان، واطلع على اللباس الدومي عند العشائر الدومية الموجودة هناك، لأننا بالنهاية نرجع إلى نفس العشيرة ".

وتضيف سليم: "هناك من أبناء العشيرة من يحاول الاندماج داخل المجتمع المقدسي وداخل الشعب الفلسطيني، فلبسوا الثوب الفلسطيني وتخلوا عن الثوب الدومي، هم تخلوا عن أشياء جميلة كثيرة، كانت تجعلهم مميزين مع مرور الزمن ومتمسكين بثقافتهم، يجب أن نحيي هذا الثقافة معا، بغض النظر كنا داخل أو خارج الأراضي الفلسطينية أو الإسرائيلية ".

أما عن أسباب تلاشي جزء من الثقافة الدومية في القدس فتقول سليم: "عدم تقبل هذه الثقافة في داخل المجتمع والأغلبية التي نعيش بداخلها هو السبب الرئيسي، الأغلبية كانت تنظر لنا كناس شاذين وبالتالي حاول أهل العشيرة التخلي عن جزء من الثقافة حتى يصبحوا مقبولين للغالبية التي نعيش في وسطها، فكان هذا السبب الرئيسي لتلاشي جزء من هذه الثقافة» أضافت "الظلم الذي تعرضت له العشيرة من الأغلبية هو السبب في تلاشي جزء من الثقافة، فأنا اعتقد أن الشعب الفلسطيني كان على خطأ حينما اضطهد الدوم... وهو على عكس المجتمعات الأخرى، فعلى سبيل المثال في داخل المجتمع الأردني أعطى الملك للشركس مكانة جيدة، مكّنتهم من الحفاظ على هويتهم، لذلك كان من المفروض أن يستغل الفلسطينيون الحضارة الغجرية وثقافتهم، لأنه هذا يغني البلاد في القدس ويحسن الوضع السياحي عندنا".

بهذه الخطوات تسعى سليم لتشديد الحدود الموجودة بين أبناء العشيرة والمجتمع المحيط، وذلك من خلال تقوية الثقافة الغجرية والحفاظ على نمط حياة غجري من خلال الخدمات الثقافية التي تقدمها مؤسستها، محاولة الاكتفاء بهذه الخدمات والانكفاء عن المجتمع المحيط، وبذلك فهي تدعو إلى إبراز الهوية العرقية الغجرية الدومرية على حساب الهوية الوطنية، بكلمات أخرى، تحاول إيجاد معادلة هوياتية تكون فيها جزئية الهوية العرقية الأعظم فيها. وربما هذا يفسر نظرة البعض ممن تمت مقابلتهم وسؤالهم عن خدمات المؤسسة، إذ رأوا أنها لا تخدم العشيرة ولا تسهم في تلبية احتياجاتها، وإنما تلبي احتياجات بعض الأشخاص فيها.

من الممكن تفسير ذلك من زاوية أخرى، فالرغبة في إيجاد قيادة بديلة للعشيرة، تعكس الرغبة في الحفاظ على الهوية العرقية والعمل على تثبيتها على حساب الاندماج والانصهار في المجتمع المقدسي الفلسطيني، وذلك من خلال محاولة جذب الشباب إلى المؤسسة، وتوفير المنح الدراسية، وتمكين النساء وما الى ذلك.

وحسب نظرية الثقافة المحاصرة لسيفان، ففي حال وجود مجموعات متنازعة داخل المجتمع المحاصر، فإن كل مجموعة تقف على بعد مختلف من مجتمع الأكثرية، ينعكس هذا النزاع بصورة اختلاف في المواقف والاتجاهات والآراء والطريقة المثلى للتعامل مع مجموعة الأكثرية، كما يصبح هناك سؤال دائم حول كيفية تعريف الهوية، وإدارة الهوية الثقافية، ومستوى الاندماج المطلوب داخل مجتمع الأكثرية، وكيفية الموازنة بين الحفاظ على الهوية أو التنازل عنها أو ادماجها داخل مجتمع الأكثرية الحاضن.

أظهرت النتائج تأرجحاً واضحاً واختلافاً بارزا بين أفراد القبيلة في تقييمهم لعلاقتهم مع مجتمع الأغلبية، حيث اختار البعض وخصوصاً فئة الشباب –بحسب بيري- استراتيجية الانخراط التام في المجتمع المقدسي على حساب مجتمع العشيرة، وفضلوا بأن يسموا مقدسيين على أن يسموا غجراً. في المقابل ظهرت هناك أقلية ترى بأن استراتيجية الانخراط التام هي استراتيجية مدمرة للهوية الثقافية الغجرية الدومرية، وعلى أفراد العشيرة أن يعرفوا بأنهم لن يُقبلوا في مجتمع الأكثرية الفلسطيني حتى لو حاولوا ذلك، وبالتالي عليهم استخدام استراتيجية المشاركة التي يستطيعون من خلالها الحفاظ على معالم هويتهم العرقية والثقافية وتطويرها، ولا مانع في أن ينتموا للمجتمع المقدسي الفلسطيني الذي يشكل جانب آخر من هويتهم الثقافية والسياسية، ولكن ليس على حساب الهوية العرقية.

الهوية الوطنية:

في مقابلة مع مختار عشيرة الغجر في القدس السيد عبد الحكيم محمد ديب سليم، والذي يعد الشخصية الأبرز داخل العشيرة، بدأ بسرد تاريخ العشيرة من خلال ارتباطها ببني قُرة العربية، وتحدث عن بطولتها في فترة ما قبل الإسلام. أما عن العشيرة في القدس فيقول: «جينا محررين مع صلاح الدين لهادي البلد "، وشدد بشكل كبير على الهوية الوطنية الفلسطينية وأهميتها لدى العشيرة وبأنها جزء لا يتجزأ من ثقافته وعشيرته، " العشيرة لها جذور في القدس وفي فلسطين، صمدت وتحدت كل الصعاب والتحديات مع أهلنا الفلسطينيين... عشنا النكبات والمآسي مع بعض»، كما وربط العشيرة مع بطولات إسلامية وعربية، في المعارك والحروب التي خاضها المسلمون على مر التاريخ.

من جهة أخرى نرى أن المختار لا يتقرب وينجذب إلى الفلسطينيين والهوية الفلسطينية فقط، إذ تطورت علاقات ومصالح بين العشيرة والجانب الإسرائيلي الرسمي، فيشير إلى أنه يتعامل مع مكتب الرفاه الاجتماعي وقسم المعارف في بلدية الاحتلال في القدس لمساعدة أبناء وبنات العشيرة، وذلك للحصول على حقوقهم والتحسين من أوضاعهم، وحول لقائه مع رئيس البلدية السابق نير بركات قال المختار: « بدي احطه (بركات) بصورة الوضع، قلتله في عندك عشيرة تحت خط الفقر ووضعها صفر، بدك انت تعدل بين غربي العاصمة وشرقي العاصمة وفرجينا شو بدك تعمل».

في العام 2012 نشرت صحيفة معاريف العبرية مقالة تفيد بأن المختار يطالب بالحصول على الجنسية الإسرائيلية - الأمر الذي يعد محرما وطنيا لدى غالبية الفلسطينيين في القدس- وذلك بسبب تعرض الأقلية الغجرية وعشيرته للاضطهاد من المجتمع الفلسطيني المقدسي، وبحسب الصحيفة قال لرئيس البلدية حينها «لطفا اعترفوا بنا كمواطنين إسرائيليين»، وبحسب الصحيفة أردف سليم قائلا: « نحن أقرب لليهود من العرب، نحن نحب الدولة (إسرائيل) ولربما نقوم بيوم من الأيام بالخدمة في الجيش».[138] هذه التصريحات لمختار الغجر أثارت ضجة في حينها، واعتبرها الفلسطينيون تخليا عن الهوية الوطنية وانسلاخا عنها. لكن في وقت لاحق تبرأ سليم من هذه التصريحات وقال أنها جملة من الأكاذيب وبأنها ملفقة.[139]

138 https://www.makorrishon.co.il/nrg/online/1/ART2/412/678.html

139 https://www.maannews.net/news/536321.html

خـلال المقابلـة مـع المختـار عبـد الحكيـم سـليم، وضـح أن توجهـه لرئيـس البلديـة كان بهـدف إرجـاع الهويـات لثـلاث عائـلات مقدسـية مـن العشـيرة سـحبت منهـا فـي السـابق، ولـم يكـن يقصـد حصولهـم علـى الجنسـية الاسـرائيلية وأن ذلـك كان عبـارة عـن خطـأ فـي الترجمـة مـن العربيـة إلـى العبريـة، وحسـب قولـه فقـد كان هنـاك اسـتغلال مـن الصحافـة الإسـرائيلية لهـذه الواقعـة المؤسـفة، أمـا فيمـا يخـص الخدمـة العسـكرية فقـط نفـى المختـار جميـع مـا قيـل علـى لسـانه فـي صحيفـة معاريـف جملـة وتفصيـلا.[140]

هنـاك أمـر لا يمكـن إنـكاره، ولـم يخفـه رئيـس بلديـة الاحتـلال السـابق نيـر بـركات عندمـا كان فـي منصبـه عـام 2012 فـي تصريحـات لصحيفـة معاريـف العبريـة يتكلـم فيـه عـن نيتـه بالقيـام بجهـود مـن أجـل «أسـرلة» الأقليـة الغجريـة، وذلـك مـن خـلال مـد يـد العـون للأقليـة ومسـاعدتها، وتنظيـم مسـاقات لتعليـم اللغـة العبريـة بهـدف دمجهـا فـي المجتمـع الإسـرائيلي، والادعـاء بأنـه جـاء لينقـذ الأقليـة مـن الظلـم الواقـع عليهـا مـن قبـل الفلسـطينيين،[141] فمـن الواضـح أن بـركات أراد اسـتغلال وجـود الأقليـة وعوزهـا وحاجتهـا؛ مـن أجـل تطبيـق مبـدأ «فـرق تسـد» إلا أن ذلـك لـم يحصـل واسـتمرت الأقليـة جـزءا مـن نسـيج الشـعب الفلسـطيني والمجتمـع المقدسـي.

أمـا مـن الناحيـة الرسـمية وبسـبب سـيطرة الطـرف الإسـرائيلي علـى الأرض، وعلـى الحكـم فـي داخـل القـدس، يضطـر المختـار إلـى اللجـوء للجهـات الرسـمية الاسـرائيلية والتعامـل معهـا؛ مـن أجـل تعزيـز مكانـة الغجـر من الناحية الرسمية، وإبراز مشاكلهم لدى الرأي العام، والحصول على غطاء سياسي أو اعتـراف رسـمي بهـذه الأقليـة.

مـن ناحيـة أخـرى، تـرى مديـرة مؤسسـة الـدوم أمـون سـليم أن الصـراع الفلسـطيني الإسـرائيلي أضعـف العشـيرة فـي أوقـات الحـروب، حيـث اضطـر الكثيـر منهـم مغـادرة بيوتهـم عـام 1948 وكذلـك الأمـر عـام 1967. بالإضافـة إلـى أن بـدء صعـود الهويـة الوطنيـة الفلسـطينية وانتشـارها، أدى إلـى اندفـاع العديـد مـن أفـراد العشـيرة إلـى إظهـار الـولاء للهويـة الوطنيـة الفلسـطينية، والتخلـي عـن جـزء مـن الثقافـة الغجريـة بشـكل عـام، الأمـر الـذي تعتبـره سـليم غيـر صائـب ، وتتحـدث سـليم عـن إمكانيـة الحفـاظ علـى الهويـة الغجريـة، وتطويـر هويـة أخـرى لا تكـون علـى حسـاب الأولـى، وتعطـي مثـالا علـى ذلـك غجـر الأردن، حيـث حافظـوا علـى علاقاتهـم العرقيـة وعلـى تماسـك العشـيرة وصلـة الـدم مـع مجموعـات الغجـر الموجـودة فـي المناطـق المتفرقـة فـي العالـم، سـواء أكان ذلـك فـي أوروبـا أم فـي الـدول العربيـة المجـاورة، مـع حفاظهـم علـى هويتهـم الناشـئة الوطنيـة.[142]

لقـد عبـر أغلـب المشـاركين فـي البحـث عـن انتمائهـم للهويـة الوطنيـة الفلسـطينية، فالمُطّلـع علـى التاريـخ الحديـث يـرى أن للغجـر دورا فـي العمـل الوطنـي الفلسـطيني فـي القـدس، فمنهـم مـن اعتقـل داخـل السـجون الإسـرائيلية، خاصـة وأن قسـما كبيـرا منهـم يسـكن فـي مناطـق أمنيـة سـاخنة داخـل البلـدة القديمـة، وبـاب حطـة خاصـة يشـهد الكثيـر مـن المواجهـات ضـد قـوات الاحتـلال، الأمـر الـذي قـد يكـون أشـعرهم بالفخـر والانتمـاء للمدينـة مـن ناحيـة، وأدى لحصـول تغييـر فـي مواقـف واتجاهـات الأغلبيـة تجاههـم، كمـا هـو الحـال علـى سـبيل المثـال مـع أبنـاء الجاليـة الافريقيـة.

لربمـا سـاهم الصـراع الموجـود علـى الأرض بيـن الفلسـطينيين وإسـرائيل أيضـاً فـي إضعـاف هويتهـم العرقيـة شـيئا فشـيئاً ونشـوء الهويـة المقدسـية الوطنيـة الحديثـة، فتمييـز الاحتـلال ضـد المقدسـيين لـم يسـتثنِ عشـيرة الغجـر، فالجميـع فـي سـلة واحـدة أمـام ممارسـات الاحتـلال، فواقـع الفقـر، والفقـر المدقـع، وسياسـة التجهيـل، ومصـادرة العقـارات، والحـد مـن حريـة الحركـة، والحـق بالسـكن، إضافـة إلـى الاعتقـالات التـي شـملت الجميـع بمـن فيهـم أبنـاء عشـيرة الغجـر.

140 مقابلة أجريت مع المختار عبد الحكيم سليم في بيته بتاريخ 20 يوليو 2020.

141 https://www.makorrishon.co.il/nrg/online/1/ART2/412/678.html

142 مقابلة اجريت مع السيدة امون سليم في مركز الدومري بشعفاط بتاريخ 20 سبتمبر 2012

ويمكن ملاحظة بروز الهوية المقدسية لدى الشباب على حساب هوية العشيرة، فمن بين المقابلات الخمس التي أُجريت مع الشباب، شدد اثنان منهم على مكانة الهوية المقدسية، إذ تقول إحدى الشابات (20 عاما) وهي طالبة جامعية «موضوع فلسطينية مش كثير بتطرقله، قدس بس، بحس بالانتماء للهوية المقدسية، هادي هويتي، لأنه الوضع الفلسطيني كثير معقد". أما في المجموعات البؤرية، فقد شدد المشاركون والمشاركات غالباً على هويتهم المقدسية بغض النظر عن جنسهم، وكان هناك فقط اثنتان من النساء من أصل سبع نساء شددتا على الهوية الغجرية ومركزيتها بالنسبة لهن.

فعشيرة الغجر كأقليات كثيرة في العالم، تحاول كل منها أن تجد أفضل الاستراتيجيات في التعامل مع مجموعات الأكثرية، أو مجموعات التأثير والسلطة من أجل الحفاظ على وجودها، وعلى الرغم من الاختلاف في الرأي بين أفراد العشيرة كان واضحاً، إلا أن اختيارهم كان لاستراتيجية المشاركة، سواء أكانت على المستوى الرسمي أم على مستوى الأفراد، فإنهم لا يرون إشكالية في كونهم مقدسيين فلسطينيين من ناحية، وفي تعاونهم مع بلدية القدس الإسرائيلية والمؤسسات الحكومية الأخرى من ناحية أخرى؛ وذلك من أجل الاستفادة منها في تحسين أوضاع العشيرة. كما أن تاريخ العشيرة الطويل أظهر قدرتهم على استخدام هذه الاستراتيجية من أجل الحفاظ على أنفسهم وبقائهم، سواء في أوروبا أو في فلسطين، وأبان الانتداب البريطاني والأردني والاحتلال الإسرائيلي.

أما حسب الثقافة المحاصرة لسيفان، فإن أمون سليم قد ترى أن المجتمع المركزي -مجتمع الأكثرية- سواء الفلسطيني أو الإسرائيلي، مجتمع سلبي خارجي تسبب في اندثار الثقافة الأم، وقد يكون رأيها محقا، فقد يُخلق لدى البعض شعور بالانتماء للثقافة الأم يصل حد الغيرة عليها، والدفاع عنها أمام خطر المجتمع المركزي.

القضايا والتحديات التي تواجهها عشيرة الغجر في مدينة القدس

سيكون عرض القضايا والتحديات مبنيا على المقابلات التي أجريت مع أفراد العشيرة، وسيتم تدعيمها من خلال المصادر المتوفرة حول العشيرة، وسنستخدم ما توفر لنا من المصادر والإحصاءات الخاصة بواقع العشيرة، التي لم تعد في السنوات الأخيرة، كما سيتم تحليل المشاكل والتحديات بناء على النظرية البيئية الاجتماعية ((The Ecological Theory ليوري برونفبرنر، بالإضافة إلى نظرية الثقافة المحاصرة التي ذكرت آنفاً.

تقسم النظرية الايكولوجية أو البيئية الاجتماعية دوائر الأثر الى خمسة مستويات (الميكرو-الماسو-الاكسو-الماكرو والكرونو). حيث يؤثر كل مستوى بالمستوى الآخر ويتأثر به، كما تؤثر كل منظومة بشكل فردي وجماعي على كل الأفراد. كما أن اتجاه الأثر في النظرية البيئية الاجتماعية هو تبادلي، فكما تؤثر البيئة في الإنسان فإنها تتأثر بسلوكياته وأفكاره.

وتجدر الإشارة إلى أن مشاكل العشيرة ليست بالضرورة لها سبب واحد، لكنها مرتبطة بالمنظومة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعيش فيها، لذا سنحاول تحليل وفهم العلاقات بين القضايا والتحديات التي تواجهها العشيرة من جهة، وبين ما يحيط بها من جهة أخرى، وعلى المستويين الفردي والجماعي.

1. الاحتلال الاسرائيلي:

إن رضوخ مدينة القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي، وتداعيات ذلك على الفرد وعلى المجتمع المقدسي، هو على رأس المشاكل الخارجية التي تؤثر في العشيرة، فهذا الاحتلال الذي يضطهد جميع الفلسطينيين في المدينة ويميز ضدهم في شتى نواحي الحياة، مثل: توزيع الميزانيات، التعليم، الخدمات المجتمعية، التطوير المادي وتطوير الحيز العام، الحصول على تراخيص البناء بهدف السكن أو بهدف بناء مؤسسات خدماتية، وما إلى ذلك من الممارسات.[143] ومن الطبيعي أن ينعكس هذا التمييز على هذه الأقلية بشكل مباشر، كما هو الحال لدى باقي المقدسيين.

2. الرفض المجتمعي

تعاني الأقلية الغجرية من الرفض المجتمعي ومن التهميش من قبل المجتمع المقدسي، ويعود هذا الرفض لأسباب عدة، أهمها نظرة المجتمع الدونية التي يعاني منها بعض الغجر،[144] وعدم اختلاط الأكثرية بهم والزواج منهم، أو التواصل معهم. يقول أحد شباب العشيرة (28) ويعمل في مجال الخدمة الاجتماعية: "نحن تخالطنا مع المجتمع المقدسي، كان في تمييز وسخرية ويحسسونا أنا بعاد (بعيدين أو ليسو جزءا من المجتمع المقدسي)». وذلك بسبب لون بشرة العشيرة المائلة إلى السمرة، والأفكار المسبقة السيئة المرتبطة بكل ما هو غجري، كما باتت لفظة « نوري» في اللهجة العامية المقدسية ترمز إلى الثقافة الدونية والتصرفات غير اللائقة، وترى أمون سليم أن سياسة الاندماج التي ذهب إليها البعض من العشيرة باءت بالفشل: " إذا بدنا نقول أننا جزء من الشعب الفلسطيني ما بنقدر، والدليل على ذلك أن نسبة الزواج بين المقدسيين وبين أبناء عشيرة الدوم منخفضة بسبب النظرة الدونية من المقدسيين اتجاهنا".

وبحسب دراكفورد يمكن تحليل المشاكل التي تعاني منها العشيرة من تهميش ورفض من خلال عدة خصائص أهمها: الانعزال الاجتماعي، بحيث تكون المشاركة في مناحي الحياة المختلفة والاندماج ضعيفة، ثانيا: غياب التأثير والقوة لهذه المجموعة، ثالثا: الاضطهاد اتجاه المجموعة في مستويات وأبعاد مختلفة، رابعا: استمرار حالة التهميش لهذه الحالة لفترة طويلة، خامسا: فقد الشعور بالانتماء.[145]

لذا يمكن الاستنتاج بأن الرفض المجتمعي لأقلية الغجر، يؤدي إلى انعزال المجموعة أو الفرد عن المجتمع، وشعوره بالتخلي عنه والإهمال من قبل مجتمع الأكثرية، هذا الشعور قد يولّد عدم رغبة في إقامة علاقات مع مؤسسات المجتمع سواء أكانت مؤسسات المجتمع المدني أم المؤسسات الرسمية، مما يؤدي إلى عدم اللجوء لتلك المؤسسات في حال الحاجة إلى مساعدة أو خدمات، ويتجلى هذا بقول أحد الشباب في إحدى المقابلات :» شو راح تعملوا ما في اشي نعمله» وإمرأة أخرى في المجموعات البؤرية أبدت سخطها اتجاه المؤسسات الموجودة في المدينة، وأبدت عدم ثقتها بها بل وتشعر بالتمييز ضد هذه الأقلية. فهذه الفجوة الموجودة بين أفراد المجموعة تؤدي إلى استمرار تهميشها وصعوبة التواصل معها، أو تلبية حاجاتها في حال كانت تريد المساعدة. لذا فقد يحصل تواصل ومساعدة وتقديم خدمات للأقلية، وقد يحصل تغيير فردي هنا أو هناك، لكن ما يزال لدى أفراد من العشيرة شعورا بالتهميش والإقصاء يتوجب حله بشكل منتظم وجذري.

143 أحمد الأسمر، مارك شطيرن، عبر السقف الزجاجي: فلسطينيون وإسرائيليون في سوق العمل في القدس، 2017، ص 12.

144 ينيف، ص 5.

145 Mark, Drakeford, Last rights? Funeral, poverty and social exclusion. Journal of social policy, 27(4),1998, pp. 507-524.

3. التعليم:

في مجال التربية والتعليم، يعاني الفلسطينيون المقدسيون عامة من تمييز مقارنة بالسكان اليهود في المدينة، حيث يتمثل هذا التمييز في الميزانيات ونقص عدد الصفوف الدراسية، وحسب معطيات جمعية حقوق المواطن فاق نقص الغرف الصفية إلى 2500 غرفة صفية، بالإضافة إلى إقامة مدارس في مبانٍ لا تتناسب مع حاجات الطلاب والمعايير المتفق عليها، كما أن نسبة التسرب من المدارس تصل إلى أكثر من 40% وتزداد في المرحلة الثانوية لدى الطلاب الفلسطينيين في القدس.[146]

إن أبناء العشيرة الذين يقطنون الأحياء الفلسطينية يرتادون هذه المدارس أيضا، لكنهم يعانون أحيانا من مشاكل إضافية، فطفل العشيرة منذ طفولته واختلاطه مع المجموعات الأخرى من أبناء الأكثرية وأبناء جيله، يتردد إلى مسمعه كلمة «نوري» فعلى سبيل المثال يقول شاب عمره (25 عام) أنه أنهى فقط الصف السادس ويعمل في المجال الخدماتي: « لما كنا صغار كانوا بالبلد (القديمة) ينادونا يا نور وكنا نتضايق بعدين شوي شوي خف الاشي"، خف لأنك كبرت؟ " اه، اعتقد لأني كبرت فهذه الظاهرة خفت». فالطفل يحمل وسماً سيئا دون أي ذنب يقترفه أو خطيئة، ونتيجة للرفض المجتمعي يشعر الطفل بدونية وبعدم الرغبة بوجوده أو دمجه في الأطر المجتمعية والدراسية، مما يؤدي إلى انعزاله عن أبناء جيله، الأمر الذي قد يؤثر على تحصيله العلمي وتسربه من المدرسة لاحقاً، وهذا قد يفسر نسبة التسرب العالية لدى أبناء العشيرة.

وبحسب المختار فإن الغالبية المطلقة من الطلبة يدرسون في مدارس حكومية، حيث تعتبر هذه المدارس ذات مستوى تعليمي ضعيف مقارنة بالمدارس الخاصة في مدينة القدس.[147] وترى الباحثة نسيبة أن المجموعات المهمشة، وإن أتيحت لها فرصة الانضمام إلى المؤسسات التعليمية، فهي عادة تذهب إلى مدارس ذات مستوى متدنٍ، ولا تلبي حاجات هذه المجموعة، إذ لا يتوفر بها طاقم من المعلمين الأكفاء، إضافة إلى النقص الكبير في موارد أخرى مهمة.[148] أما نساء العشيرة ففرصهن في الوصول وإنهاء المرحلة الثانوية أكبر من فرص الشباب، لكن في مرحلة الدراسات العليا قد تحول القيود المجتمعية بين النساء وبين الوصول إلى الجامعات، ومن أسباب ذلك بُعد مكان الجامعة مثلا، مما قد يمنع المرأة من الدراسة، أو يضطرها للذهاب إلى جامعة غير التي ترغب فيها.[149]

أما على المستوى الرسمي، ففي السنوات الأخيرة استطاعت بعض النساء الغجريات والشباب الغجر، وذلك من خلال دورات للتأهيل المهني تعلم مهارات ومهن مختلفة مثل: الطبخ، العزف والموسيقى في مدرسة المصرارة للفنون، وكلية السينماتك، وذلك عن طريق مكتب الرفاه الاجتماعي، لكن تبقى هذه الجهود محصورة في عدد قليل من المشاركين والمشاركات، ونتيجة لجهود قام بها المختار قامت البلدية بإعفاء الطلبة من الرسوم الدراسية في بعض المدارس.[150]

إن الظروف والتحديات الكبيرة التي يواجهها أبناء وبنات العشيرة تؤثر جميعها على مستوى التعليم، فمن الرفض المجتمعي حتى الفقر والبطالة والاكتظاظ، كلها أسباب تدفع الطفل أو الفرد

146 https://law.acri.org.il/he/2132

147 مقابلة أجريت مع المختار عبد الحكيم سليم في بيته بتاريخ 20 يوليو 2020.

148 Rawan, Asali Nuseibeh. Political conflict and exclusion in Jerusalem: The provision of education and social services, Routledge, 2015. P.13.

149 Rawan,Asali Nuseibeh, The Social exclusion of the Domari Society of Gypsies in Jerusalem: a story of narrated by the women of the tribe, 2020,p.10.

150 مقابلة أجريت مع المختار عبد الحكيم سليم في بيته بتاريخ 20 يوليو 2020.

الغجري إلى الابتعاد عن مقاعد الدراسة، ويقول أحد الشباب (28 عاما) ويعمل في مجال الخدمات: « تزوجت وأنا عمري 16 سنة، كنت بدي أدرس طبخ لكن اليوم ما بقدر لأنه صار عندي خمس أولاد».

وتشير احصاءات مكتب الرفاه الاجتماعي في العام 2017 إلى أن نسبة التسرب بين أبناء العشيرة في المرحلة الإبتدائية تصل إلى 52% [151]، وهذه النسبة تفوق نسبة التسرب لعموم الفلسطينيين في القدس في المرحلة الثانوية التي تصل إلى 50% [152]، أي أن التسرب لأكثر من نصف أبناء العشيرة يكون في المرحلة الابتدائية في حين أن هذه النسبة تكون تقريبا في المرحلة الثانوية لدى عموم المجتمع المقدسي، وهذه أرقام مقلقة جدا، تؤدي إلى الإضرار بمستقبل الطفل، وتعرضه للكثير من المشاكل والمعيقات مستقبلا في سوق العمل، وفي الحياة الاجتماعية.

من خلال التواصل مع مكتب الرفاه الاجتماعي، أكدت العاملة الاجتماعية انخفاض ملحوظ في نسبة الأطفال الذين يتسربون من المدارس من أبناء العشيرة، كما أشارت إلى تحسن المستوى التعليمي لديهم، وبحسب مكتب الرفاه فلم يتسرب سوى طالبين من داخل ثلاث مدارس ابتدائية في البلدة القديمة عام 2019. [153]

ويُعد التعليم الأساسي، والتعليم العالي من مقومات المجتمع الحديث، فهو مصدرهم لتطوّر الإنسان داخل المجتمع، كما أن التعليم يرتبط ارتباطا وثيقا بالوضع المادي السيء لدى أبناء العشيرة، فالدخل المنخفض أو البطالة يحولان دون قدرة الوالدين على شراء وتوفير الحاجات الخاصة بالتعليم، مثل: الكتب والملابس المدرسية وغيرها من المستلزمات، كما يصعب على الوالدين في هذا الوضع أن يرسلوا أطفالهم إلى دورات خاصة مثل: الدورات الرياضية والثقافية وتطوير الذات. وبحسب رافيان كونل وهي عالمة اجتماع أسترالية فإن الطلبة القادمين من طبقة اقتصادية فقيرة يصعب عليهم الخروج من دائرة الفقر، والحصول على تعليم عالٍ ونوعيّ[154]. ومن هنا ينشأ جيل لا يستطيع إكمال دراسته في المدرسة، أو الوصول إلى مرحلة التعليم العالي، ناهيك عن القيود الاجتماعية التي يفرضها المجتمع وبالأخص على النساء.

4. العمل:

يبدأ تحدي التشغيل من مشكلة ايجاد فرصة في سوق العمل الإسرائيلي، فالسوق المفتوح للمقدسيين بالأساس هو سوق الخدمات والعمالة، مع العلم من أن الكثير من المقدسيين لا يعملون في وظائف تتلاءم ومستواهم التعليمي وتخصصاتهم مقارنة باليهود، إذ أن هناك تمييزا ممنهجا اتجاههم فيما يخص الرواتب وفرص التقدم والتطور في مكان العمل، كما يعاني الفلسطينيون من عدم الاعتراف بشهاداتهم الأكاديمية من قبل المؤسسات الإسرائيلية، إضافة إلى ضعف المقدسيين باللغة العبرية، الأمر الذي يقلل من قدرتهم على الاندماج في وظائف أفضل، أو حتى القبول للعمل.

وتنطبق هذه الظروف جميعها أيضا على أبناء العشيرة، فإيجاد العمل وانخراط الرجال والنساء فيه يصبح أصعب بسبب هويتهم العرقية، وطبقتهم الاجتماعية، وانخفاض مستوى التعليم لديهم، فجهود أبناء العشيرة من أجل الحصول على وظيفة في سوق العمل الإسرائيلي تعد أكثر تعقيدا مقارنة بغيرهم في المجتمع الفلسطيني عموماً. [155]

151 Asali Nuseibeh, 2020, p.8.

152 https://law.acri.org.il/he/2132

153 مقابلة أجريت مع العاملة الاجتماعية التي رافقت العشيرة طوال الخمس سنوات الأخيرة، بتاريخ 24 يونيو 2020.

154 Connell, Raewyn, Poverty and education. Harvard Educational Review,1994, p.64.

155 Asali Nuseibeh, 2020, p.10.

فالصورة المجتمعية للغجر بأذهان الكثيرين تساهم في ظلم الأقلية وأبنائها وتهميشهم في سوق العمل، الأمر الذي يؤثر لاحقاً على الوضع الاقتصادي لأبناء العشيرة وأسرهم، ويسهم في زيادة الفقر لديهم. تذكر إحدى شابات العشيرة (20 عاما) وهي طالبة جامعية قصة إحدى قريباتها: «ممرضة كانت تشتغل في مستشفى فكان الها فترة طويلة، وكان لازم تصير في مجلس ادارة المستشفى، لكن ما أخذت المنصب لأنها غجرية»، ربما يكون هذا هو السبب، وربما يكون غير ذلك، ولكن ما يشعر به أبناء وبنات النور هو التهميش والاضطهاد وهذا هو المهم هنا.

5. الزواج

بحسب الكاتب ينيف يعاني أبناء العشيرة من صعوبة في الارتباط مع شريك حياة من خارج العشيرة، فهم يضطرون غالبا للزواج من داخل العشيرة، والسبب الرئيس لذلك هي النظرة الدونية لهم، والأفكار المسبقة والصورة النمطية التي يحملها غالبية أبناء المجتمع المقدسي عنهم، فالزواج في المجتمع العربي هو ارتباط بين العائلات وليس بين الأفراد فقط، فهو مجتمع قائم على الأسرة الممتدة غالبا، والارتباط بعائلة من أبناء الغجر قد يؤثر عند البعض على سمعة العائلة داخل المجتمع المقدسي، لذا تحاول الأغلبية تجنب مصاهرة أبناء العشيرة سواء أكان ذلك برفض المتقدم للزواج منهم بشكل مباشر أو بإعطاء ذرائع واهية من أجل الامتناع عن مصاهرتهم.[156] يقول أحد أفراد العشيرة (26 عام) يعمل في مجال الخدمات: « مرات بصير عدم قبول في الزواج، فمثلا أخوي تقدم لبنت من هون من مدينة القدس، لكن رفضوا يعطو اياها، مع أنه ما كان في سبب مقنع».

هذا الرفض قد يزيد من إمكانية زواج الأقارب بين العائلات الغجرية، وذلك يعود بالدرجة الأولى للرفض المجتمعي الذي تعاني منه العشيرة، وبالتالي فإن زواج الأقارب يؤدي إلى زيادة نسبة الإعاقات والمشاكل الجينية لدى الأطفال والجيل الجديد.

وبحسب المجموعات البؤرية للنساء، اتفقت جميع النساء أنه خلال السنوات الأخيرة هناك انفتاح أكثر على الزواج من شباب وبنات خارج العشيرة، وأن الأمور باتجاه التغيير، وتؤيد نسيبة في دراستها هذا الرأي بزيادة الزواج من خارج العشيرة، لكن تتحفظ بأن الزواج خارج العشيرة عادة ما يكون من الطبقة الاجتماعية الاقتصادية المتدنية، وذلك حسب شهادات النساء التي جمعتها الباحثة من نساء العشيرة.[157]

6. الفقر والبطالة

بحسب معطيات مركز الرفاه الاجتماعي الإسرائيلي في القدس، فإنه في العام 2017 وصلت نسبة معدلات العاملين لدى العشيرة بين الرجال إلى 50% في حين وصلت النسبة بين النساء إلى 15%.[158] أما نسبة معدلات العاملين في المدينة حسب معطيات 2018 فقد وصلت بين الرجال العرب عموماً إلى 89.6 % وبين النساء العربيات إلى 21.3%.[159] ومن خلال هذه المعطيات يمكن رؤية الفجوة الكبيرة بين أبناء العشيرة وسكان المدينة فيما يخص العمالة والبطالة خاصة لدى الرجال، لذا فالكثير من العائلات ما زالت تعيش على مخصصات التأمين الوطني سواء الخاصة بالأطفال أو الخاصة بالبطالة، ولا تزال أفقر من بقية العائلات المقدسية.[160]

156 ينيف، ص7.

157 Asali Nuseibeh, 2020, pp.11-12.

158 Asali Nuseibeh, 2020, p.9.

159 https://jerusaleminstitute.org.il/wp-content/uploads/2020/05/shnaton_G0520.pdf

160 https://www.domarisociety.com

أما نسبة الفقر فحسب معطيات الرفاه الاجتماعي ففي العام 2004 (لم تتوفر معطيات حديثة حول الفقر لدى العشيرة) فإن 97.5 % يعانون من فقر حاد، في مدينة القدس، وحسب معطيات عام 2018 تصل نسبة الفقر في المدينة (سكان عرب ويهود) إلى 40% بينما تصل بين السكان العرب إلى 59%.[161] وعلى ما يبدو أن المُعطى القديم الخاص بالعشيرة لا يعكس الصورة اليوم بعد مرور 16 عاما على هذه الإحصائية، فمن خلال المجموعتين البؤريتين كان جميع الرجال يعملون (ما عدا المختار)، لكن غالبيتهم كانوا يعملون في مجال الخدمات ولم يكن سوى رجل واحد يعمل في مجاله الأكاديمي، بالإضافة إلى آخر كان يعمل كفني مهني.

أما النساء في المجتمع العربي الفلسطيني بشكل عام، فيواجهن العديد من العوائق للانضمام لسوق العمل، وأهم هذه المشاكل هي قضية الوصول إلى مكان العمل، وعدم ملاءمة الكثير من الوظائف للظروف العائلية، فالنساء العربيات يفضلن بشكل عام العمل في سوق العمل المحلي والقريب من بيوتهن، مثل مجال التدريس أو الخدمة الاجتماعية، وذلك دون الإضرار أو المس بمكانة المرأة كأم بمفهومه التقليدي.[162]

كما يمكن ملاحظة هذا العائق لدى نساء العشيرة كذلك، تقول إحدى النساء (26 عاما) وتعمل ربة منزل: «تعلمت سكرتارية طبية بواحدة من كليات القدس واشتغلت سنة – سنة ونص ولما تجوزت خلص تركت الشغل الواحدة لما تتجوز وتخلف ما إلها إلا بيتها «. وعلى الرغم من إبداء عدة نساء رغبتهن في التوجه لسوق العمل، إلا أن الكثير من العوائق تحول دون ذلك، أولها الحاجة إلى رعاية المنزل والأطفال.

يؤثر الفقر بشكل مباشر على المجموعة والفرد على حد سواء، فكلما تدنى الدخل للفرد في العشيرة ازداد الوضع سوءا، وكلما ازداد عدد الأطفال في العائلة الغجرية ازداد الوضع المادي للعائلة سوءا أيضا، وقد يكون الفقر متوارثا في أكثر من جيل سابق لنفس المجموعة أو العائلة، وهناك العديد من العناصر التي تتحكم في حدة الفقر ونسبته، أهمها: التعليم، والثقافة، والصحة، مدى الانخراط في المجتمع، وجود مسكن مؤمن، وإذا كان هذا المسكن مكتظا أم لا.

لا ينحصر الفقر فقط في عدم وجود عمل لرب الأسرة في العشيرة لفترة مؤقتة، فقد يستمر ذلك الوضع لأشهر وأعوام، وفي بعض الحالات تصبح البطالة حالة تعيشها العائلة لفترة طويلة وتنتقل من جيل إلى جيل، أضف إلى ذلك أن الفقر قد يلقي بظلاله على الوضع النفسي للوالدين والأطفال فيؤدي إلى يأس واكتئاب، أما من الناحية العملية فقد يجبر الوالدين على إرسال أطفالهم للعمل في جيل مبكر، مما يؤدي إلى تسربهم من المدارس.

7. الضائقة السكنية

إن للسياسات الإسرائيلية تأثيرا كبيرا على مشكلة السكن، فالسكان الفلسطينيون كما ذُكر سابقا يصعب عليهم الحصول على تراخيص للبناء داخل المدينة، وهذه المعضلة تنعكس بشكل مباشر على أبناء العشيرة في أماكن معيشتهم وسكناهم. وحسب تقرير صادر عن مؤسسة عير عميم، يبين أن أكثر من 200,000 وحدة سكنية مبنية وموجودة داخل مدينة القدس، إلا أن أقل من 25% من هذه الوحدات موجودة داخل الأحياء الفلسطينية،[163] في حين تصل نسبة الفلسطينيين في القدس إلى 38% بحسب إحصائية عام 2018،[164] أي أن هناك فجوة بين ما يملكه الفلسطينيون على

161 مايا، حوشن، عن معطيات القدس 2020، 2020، ص. 58.

162 الأسمر وشطيرن، ص 16.

163 شرق القدس- معطيات مهمة، دراسة صادرة عن مؤسسة عير عميم، 2016، ص 2.

164 https://jerusaleminstitute.org.il/wp-content/uploads/2020/04/shnaton_C0120.pdf

أرض الواقع و بين نسبتهم في المدينة تصل إلى 13%، فلو كان هناك تساوٍ في عدد الوحدات السكنية بين المجموعات، فيجب أن يمتلك الفلسطينيون أكثر من 26,000 وحدة سكنية زيادة عما يمتلكونه اليوم، وهذا يعني العجز في توفير مسكن في القدس، كما يؤدي إلى اكتظاظ الأحياء الفلسطينية.

أما فيما يخص الأحياء السكنية التي يقطنها أبناء العشيرة فهي تعد من الأحياء الأكثر فقراً، فحسب التصنيف الأخير الذي أصدرته دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية عام 2015 فإن تصنيف الأحياء السكنية يكون حسب الحالة الاجتماعية والاقتصادية للأحياء، فيتم فحص المستوى المعيشي للسكان، إضافة إلى معدل حجم العائلة داخل البيت، والمستوى التعليمي، والدخل، ثم يضع هذا التصنيف الأحياء على سلم من 10-1 (يكون رقم 10 هو الأعلى من حيث المستوى ورقم 1 هو الأدنى)، ومن خلال هذا التصنيف تقع الأحياء الفلسطينية في القدس بين 3-1 على أعلى حد، بينما تصل الأحياء اليهودية في المدينة إلى 8 أو 9 في بعض الأحياء. أما الأحياء التي يقطنها غالبية أبناء العشيرة والمتمثلة في الحي الإسلامي بالبلدة القديمة ومخيم شعفاط للاجئين وعناتا ورأس العامود فجميع هذه الأحياء تصنيفها واحد أي أنها الأدنى.[165]

لا يمكن إخفاء مشكلة الاكتظاظ السكاني في القدس عموماً، وفي البلدة القديمة خصوصا حيث أن الوحدات السكنية في البلدة القديمة صغيرة وضيقة، وتتفاقم المشكلة لدى الأقلية الغجرية، وذلك بسبب صعوبة إيجاد مكان سكن بديل بسبب نسبة الفقر المرتفعة، ونتيجة للرفض المجتمعي العام التي تعانيه الأقلية، مما يساهم بحصرهم في أماكن سكن معينة خاصة بهم، وحسب الإحصاءات يعيش 3.6 أشخاص داخل الغرفة الواحدة،[166] ويسكن 70% من العائلات الغجرية في بيت مكون من غرفة أو غرفتين،[167] أما متوسط حجم العائلة الغجرية فيصل إلى 5.9 أنفار، في حين لم يصل متوسط حجم العائلة في القدس عامة (عربا ويهودا) في نفس العام إلى 4 أنفار[168]، أي أن متوسط العائلة الغجرية يصل إلى ما يقارب 150% من العائلة المقدسية، وهذه نسبة كبيرة تؤثر بشكل حتمي على مستوى المعيشة والتربية وتماسك الأسرة وتعرضها للخطر، في حال أدخلنا معطيات الفقر والبطالة التي ذُكرت آنفاً. يقول شاب من أبناء العشيرة (28عاما) يعمل في مجال الخدمات: « حاولت أرجع للتعليم، لكن زي أبوي وأمي عندهم 11 نفر فأنا طلبت من أبوي أنى بدي اتعلم بجروت (شهادة ثانوية اسرائيلية) فبقولي معيش (لا املك ما يكفي من المال) فعشان هيك ما رجعتش».

وبحسب المجموعات البؤرية أفاد الكثير من المشتركين أنهم لا يملكون بيتا، وأنهم مستأجرون ويدفعون بدل ايجار شهري لأصحاب البيوت، خاصة أولئك الذين يقطنون في منطقة باب حطة بالبلدة القديمة، مما يثقل كاهل ربّ العائلة بالمزيد من الأعباء المادية.

الظروف السكنية للعائلة الغجرية تؤثر بشكل مباشر على حالتها ومشكلاتها اليومية ومستوى معيشتها، وعدم امتلاك بيت يزيد من أعباء الأسرة، وأحيانا قد يسبب احتقانا مع مالك المنزل مما يزيد من الضغوط النفسية لجميع أفراد الأسرة، كما يؤدي إلى انخفاض المستوى المعيشي للعائلة وقد يودي بها إلى الفقر، من جهة أخرى فإن الاكتظاظ السكاني لدى جزء من الأماكن السكنية لدى العشيرة يزيد من الاحتكاك مع الجيران، مما يزيد من الضغوط النفسية والمعنوية لدى العائلة.

165 https://www.cbs.gov.il/he/mediarelease/DocLib/2019/246/24_19_246b.pdf

166 بحسب معطيات مركز الرفاه الاجتماعي في العام 2004.

167 يافا، ص 234.

168 https://old.cbs.gov.il/publications/households_families03_04/pdf/h_intro_mavo6.pdf

8. الوعي الوالدي المنخفض[169]

يكمن الوعي الوالدي المنخفض لدى العديد من الأهل، في قلة الرعاية الجسدية والصحية لأطفالهم، سواء أكان ذلك من خلال تركهم دون مراقبة أو استغلالهم أحياناً لحاجة التسول، وقد يتعرض الأطفال أحياناً للأذى أو للإهمال الذي يؤدي إلى أذيتهم لأنفسهم، الأمر الذي يشكل خطراً حقيقيا على الأطفال، فمن خلال مقابلة أجريتها مع العاملة الاجتماعية يمكن فهم أن ما يقوم به بعض الوالدين وبالأخص الأمهات، يكون نتيجة عدم وعي وإدراك للمخاطر التي قد تواجه أطفالهم في حال تركهم دون رقابة أو عناية.

أما الوجه الآخر للإهمال الوالدي، هو قيام بعض الأمهات الغجريات بأخذ أطفالهن حتى وهم رضع إلى الشوارع بغرض التسول، أو إرسال الأطفال بعد أن يكبروا قليلا للشوارع وللإشارات الضوئية من أجل التسول كذلك، وبحسب العاملة الاجتماعية، لا تجد تلك النساء حرجاً من ذلك، حيث يعتبرون التسول مصدر رزق ودخلا للعائلة ويستمرون بممارسته لسنوات طويلة.[170] يقول أحد شباب العشيرة (28 عاما) ويعمل في مجال الخدمة الاجتماعية: « اغلب العشيرة وافعالهم والي بعملو في الشارع واولادهم الصغار الي ما عندهم مسؤولية اتجاهم من مرة».

قام مكتب الرفاه الاجتماعي الكائن في وادي الجوز بعقد دورات لـ28 عائلة من العشيرة حول الوعي الوالدي خلال السنوات الأخيرة، وذلك بهدف التقليل من ظاهرة الإهمال والعمل على الحد منها، وزيادة الوعي الوالدي اتجاه الأطفال وتنشئتهم تنشئة صحيحة.[171] وبحسب المجموعة البؤرية للنساء أكدت غالبيتهن أن هذه الظاهرة آخذة بالانحسار داخل العشيرة في الفترة الأخيرة.

169 الإهمال الوالدي يشير إلى إغفال سلوكيات الرعاية اللازمة لنمو الطفل وتطوره بشكل صحي، وهو يختلف عن أنواع العنف الأخرى حيث أن أنواع العنف الأخرى تتعلق بالأفعال الضارة التي يتم ارتكابها ضد الطفل بشكل مباشر والإهمال الوالدي هو فعل غير مباشر يشمل عدم توفير الرعاية اللازمة التي يتوجب على الأهل توفيرها لنمو وتطور الطفل الصحي، مثل عدم توفير الغذاء الكافي، نقص في حضور المدرسة، نقص الرعاية الطبية وسوء جودة الإشراف الوالدي.

170 مقابلة أجريت مع العاملة الاجتماعية التي رافقت العشيرة طوال الخمس سنوات الأخيرة، بتاريخ 24.6.2020.

171 مقابلة أجريت مع العاملة الاجتماعية التي رافقت العشيرة طوال الخمس سنوات الأخيرة، بتاريخ 24.6.2020.

قد تطغى حالة الفقر على الحالة الاقتصادية والاجتماعية للعائلة داخل العشيرة، فالفقر يؤثر بشكل مباشر على الأطفال وكيفية تعامل الأهل معهم، فحسب بنينة كلاين فإن الأهل الذين يعانون ويسعون من أجل رزقهم، ويواجهون المشاكل من أجل كسب قوت يومهم مرشحون لفقدان الطاقة النفسية والرغبة في قضاء وقتهم مع أبنائهم، كما أن العائلات الفقيرة وخاصة المهمشة منها، بالعادة لا يشعر أفرادها بأنهم يملكون أي شيء لإعطائه لأطفالهم.[172]

وبحسب النظرية البيئية الاجتماعية فطبيعة العلاقة والتفاعل بين الأهل والأطفال لا يمكن فصلها عن المحيط الذي تعيش به العائلة من فقر أو بؤس، فالشعور بالخوف لدى الأهل، أو الضغوط النفسية، أو التسريح من العمل، أو البطالة المؤقتة أو الدائمة، كلها تؤثر وتؤدي إلى الإهمال الوالدي اتجاه هؤلاء الأطفال، وحرمانهم من حقوقهم البسيطة دون قصد. كما أن هذه الحقوق لا تنحصر في توفير الحاجات المادية، بل أنها أيضا تشمل الدعم المعنوي والنفسي من الأهل، وتطوير الطفل، والتواصل الاجتماعي، وزيادة ثقته في نفسه، ويكون من الصعب توفير هذه الحاجات والحقوق للطفل في ظل والدين يعانون من الضيق المادي والنفسي.

9. الخلافات الداخلية

من خلال المقابلات والمجموعات البؤرية الخاصة بالبحث، لا يخفي أولاد العشيرة وجود خلافات بين عائلات العشيرة، فهذه الخلافات قديمة حديثة توارثها أبناء العشيرة، فأحيانا تكون المشاكل بعد مصاهرة أو نسب كان بين العائلات ووصل للطلاق أو الانفصال بين الأزواج، أو بسبب خلافات بسيطة ولدّت ضغائن وأحقادا بين أفراد العشيرة، ويقول المختار: «صراعات داخلية بين بعضنا، يعني بحبوش بعض يعني ثلاث عائلات سليم ونمر وبعراني... يعني هون الي صار أنه في بعض زعران بتحاول تدب بين العائلات، فهذا الي عم بصير في نفور بين العائلات لكن بالنهاية نحنا عائلة واحدة، هذا قريب هذا.. هذا ماخذ أخت هذا».[173]

الاستنتاج العام للبحث

في نهاية الأمر، هذه العشيرة هي جزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي المقدسي المتنوع، وعلى الرغم من الاختلاف ووجهات النظر المتضاربة حول أصول العشيرة وجذورها والصعوبة في حسم ذلك النقاش، إلا أن التهميش والتحديات التي تعاني منها لا يمكن إنكارها، لذا من الضروري أن تعمل العشيرة على نبذ خلافاتها وتغيير أحوالها من جهة، والعمل جميعا أفرادا ومؤسسات وأبناء عشيرة على تغيير الأفكار النمطية اتجاه هذه الأقلية من جهة اخرى، كما يجب العمل على إدماجها في المجتمع من دون التخلي عن مميزاتها وخصوصيتها الثقافية، ويبدأ التغيير في رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمجموعة، ومحاولة إزالة الحواجز وكسر العزلة لهذه الأقلية. فجميع العناصر السابقة مرتبط بعضها ببعض، بدءا من الفرد داخل العائلة ووصولا للمنظومة السياسية التي تقود سياسات البلاد، ولا بد من الإشارة أن هناك تغييرا ملموسا لدى بعض أفراد العشيرة، لكن هذه التغييرات ما زالت فردية ولا ترقى للمستوى الجماعي.

172 بنينة، كلاين، الفقر والسلوك، وساطة مبكرة بين الأهل والطفل، ج، جال (محرر)، أطفال فقراء في إسرائيل، 1997، ص 48-39.

173 مقابلة أجريت مع المختار عبد الحكيم سليم في بيته بتاريخ 20 يوليو 2020.

آليات وحلول مقترحة

سنحاول اقتراح حلول للتحديات بناء على النظرية البيئية الاجتماعية في مستويات مختلفة:

على مستوى المنظومة المصغرة (Microsystem):

3. العمل على زيادة الوعي الوالدي لدى أفراد العائلة الغجرية، من خلال برامج تستهدف الوالدين، وذلك من خلال عقد ورشات عمل للأهالي حول كيفية التعامل مع الأطفال، والحفاظ عليهم من المخاطر والآفات المجتمعية المحيطة بهم.

المنظومة المتوسطة (Mesosystem):

4. إقامة لجنة أولياء أمور خاصة بطلبة العشيرة؛ من أجل متابعتهم في تحصيلهم الدراسي، والتأكد من عدم وجود تنمر أو وسوم غير لائقة بحقهم من طرف أقرانهم.

5. زيادة الوعي لدى الإدارات المدرسية في المدارس التي يرتادها أولاد العشيرة حول خصوصية العشيرة، وضرورة دعمها داخل الأطر المدرسية والتعليمية.

المنظومة المحورية (Exosystem):

6. العمل على خلق قيادة شبابية داخل العشيرة، تساهم في تطوير أبناء العشيرة والنهوض بهم مستقبلا، وتجاوز المشاكل والخلافات الداخلية الموجودة بين عائلات وأبناء العشيرة.

7. إقامة دورات وورشات عمل خاصة بالعشيرة في المؤسسات التشغيلية المقدسية؛ وذلك من أجل تسهيل ادماجهم في سوق العمل.

8. القيام بمشاريع للتأهيل المهني للشاب الغجري، خاصة الشباب الذين لم يستكملوا تعليمهم داخل المدرسة ولم يحصلوا على شهادة تعينهم على كسب قوت يومهم.

9. العمل على زيادة نسبة التعليم، ومحو الأمية لدى الأقلية الغجرية، وذلك من خلال العمل على برامج محفزة للتعليم لدى الجيل الجديد، واستيعابهم في إطارات تعليمية آمنة ومحفزة، تجعل من أفراد وأبناء العشيرة أشخاصا مميزين وقادرين على تغيير حالة العشيرة إلى الأفضل.

10. زيادة الوعي اتجاه مشاكل الزواج من الأقارب، والتحذير من المشاكل التي تنتج من زواج الأقارب سواء أكانت المشاكل وراثية أم مجتمعية، والعمل على برامج اجتماعية لدمج الأقلية داخل المجتمع المقدسي، تسهم في زيادة الانفتاح للزواج من أبناء العشيرة.

المنظومة الكبيرة (Macrosystem):

11. زيادة الوعي لدى المجتمع المقدسي عامة بوجود الأقلية، وذلك من خلال توعية المجتمع بخصوصية هذه الأقلية وأهمية وجودها داخل النسيج المجتمعي المقدسي، والعمل على إنهاء الاضطهاد والتمييز ضدها في شتى المجالات؛ وذلك من خلال نشر المعلومات عبر المنصات الإعلامية وذلك من خلال الإعلام المجتمعي ووسائل الإعلام الكلاسيكية.

12. وضع الأقلية على سلم أولويات وأجندة المؤسسات المحلية ومؤسسات المجتمع المدني، وذلك من أجل تخصيص مشاريع خاصة بالعشيرة ومحاولة دعمها وتخصيص برامج مناسبة وملائمة لهم، خاصة في ظل وجود مؤسسة واحدة فقط تُعنى بشؤون الأقلية، ويرى جزء منهم أنها غير فعالة ولا يستفيدون منها. كما يستفيد بعض أبناء الغجر من مؤسسة برج اللقلق في البلدة القديمة، لكن لا يتمّ التركيز عليهم كمجموعة، والكثير من الفتيات يتوقفن عن الحضور النشاط المجتمعي بعد مرحلة الطفولة داخل هذه المؤسسة.

الفصل الثالث

الجالية الافريقية في القدس

المقدمة

تربط فلسطين بين أكبر قارتين في العالم القديم آسيا وإفريقيا، وقد عبرت بعض الشعوب فلسطين واستمرت في طريقها، واستقر البعض الآخر فيها، ومن هذه الشعوب التي استقرت في فلسطين المجموعات الإفريقية على اختلاف دياناتها، فمنهم من اعتنق المسيحية كالأحباش، الذين تنصروا خلال القرن الرابع الميلادي وسكنوا القدس بعد ذلك، فباتوا يملكون دير الحبش الملاصق لكنيسة القيامة الذي يدور حوله صراع بين الأحباش من جهة والأقباط من جهة أخرى منذ مئات السنين، كما ولديهم كنيسة خارج السور إلى الشمال الغربي من المسكوبية (بالقرب من حي المصرارة اليوم). [174] ومنهم من دانوا باليهودية وحضروا مع الاحتلال خاصة بعد عام 1973 وذلك في أعقاب اعتراف الحاخام اليهودي عوفاديا يوسف بصحة دينهم اليهودي فقامت دولة الاحتلال بإحضارهم من أثيوبيا بين عامي 1985-1983 تحت مسمى «عملية موسى» إذ كان عددهم نحو 20 ألف يهودي، وفي عام 1991 قامت بإحضار نحو 18 ألف يهودي أثيوبي آخر في عملية أطلق عليها «عملية سليمان».[175] وقد تجند المهاجرون الجدد من اليهود في جيش الاحتلال وانخرطوا في منظومته، إضافة إلى المئات الذين قامت بإحضارهم عام 2000.

أما البحث الحالي فيتناول الجالية الإفريقية التي أتت غالبيتها من غرب إفريقيا وتدين بالديانة الإسلامية، ويستعرض تاريخ وهوية هذه الأقلية وتحدياتها في المدينة المقدسة. فمع دخول الإسلام إلى فلسطين في القرن السابع الميلادي، بات الكثير من المسلمين يزورون القدس بعد زيارتهم لمكة وتأديتهم مناسك الحج، وعلى الرغم من وجود العديد منهم منذ قرون طويلة في المدينة وفي فلسطين إلا أن جزءاً كبيراً منهم استقر في فترة الانتداب البريطاني فيها خاصة في ثلاثينيات القرن الماضي، وقد جاءوا من دول افريقية مختلفة من أبرزها: تشاد، السنغال، السودان ونيجيريا، وذلك بعد تأديتهم لفريضة الحج وزيارتهم مكة والمدينة. [176]

وعلى الرغم من اختلاف منابع الإفريقيين الذين هاجروا واستقروا في الدول العربية بما فيها فلسطين، وعلى الرغم من أنهم مجتمعات غير متجانسة فهي متنوعة من حيث الخلفيات العرقية والثقافية واللغوية والحالة الاجتماعية والاقتصادية، إلا أنه وحتى الآن ينظر إليهم ككيان واحد. [177]

على الرغم من اختلاف الدول التي أتت منها تلك المجموعات، إلا أنها أصبحت اليوم جزءا لا يتجزأ من النسيج والمجتمع المقدسي، ومن خلال الحديث مع بعض أبناء الجالية نجدهم يفخرون بارتباطهم وانتمائهم لمدينة القدس وللهوية الوطنية الفلسطينية ويؤكدون عليها، لهم ما لأهلها من الحقوق، وعليهم ما عليهم من التحديات.

174 عارف، العارف، تاريخ القدس، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1951، ص 254.

175 https://dbs.anumuseum.org.il/skn/he/c6/e195130/%D7%9E%D7%A7%D7%95%D7%9D/%D7%90%D7%AA%D7%99%D7%95%D7%A4%D7%99%D7%94

176 Irit, Back, "From West Africa to Mecca and Jerusalem: The Tijāniyya on the Hajj Routes", The Journal of Middle East and Africa, 2015,p.12.

177 Yasser, Qous, " The West African Community in Jerusalem: process of settlement and local integration", Maghreb-Machrek 1, 2018, p.117.

مشكلة البحث

يـرى البعـض مـن الجاليـة الإفريقيـة أن هويتهـم الإفريقيـة جـزء لا يتجـزأ مـن هويتهـم الوطنيـة الفلسـطينية، وعلـى الرغـم مـن تعـدد الـدول والمناطـق الإفريقيـة التـي حضـر منهـا أبنـاء الجاليـة إلا أن هنـاك اتحـادا وتضامنـا بيـن أفـراد الجاليـة. بالمقابـل تعانـي الجاليـة الإفريقيـة مـن بعـض التحديـات والعقبـات فـي مدينـة القـدس، تتمثـل بممارسـات الاحتـلال تجـاه أبنائهـا، إضافـة إلـى الحالـة الاجتماعيـة والاقتصاديـة التـي تعانيهـا، ومشـكلة السـكن الجديـة الموجـودة لـدى الجاليـة خاصـة، بالإضافـة إلـى بعـض الأفـكار المسـبقة لـدى بعـض المقدسـيين تجـاه أبنائهـا، ومـن خـلال هـذا البحـث سـيتم إثـارة هـذا النقـاش ومحاولـة فهـم هـذه المحاورالسـابقة بشـكل أوضـح وأفضـل.

تنبـع أهميـة هـذا البحـث مـن محاولتـه إعطـاء صـورة أوضـح عـن الجاليـة الإفريقيـة، خاصـة وأن المصـادر الأكاديميـة حولهـا غيـر متوفـرة بشـكل كبيـر، كمـا سـيتم تسـليط الضـوء علـى الهويـة الخاصـة بالجاليـة وكيـف يعـرّف أبنـاء الجاليـة أنفسـهم، بالإضافـة إلـى تنـاول أهـم مـا يميـز هـذه المجموعـة، والتحديـات والمشـاكل التـي واجهتهـا وتواجههـا حتـى اليـوم. وفـي نهايـة البحـث سـيتم وضـع اقتراحـات تخفـف مـن وطـأة هـذه التحديـات والمشـاكل.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى التعريف بهوية الجالية الإفريقية الوطنية والاجتماعية وما يميزها، ومكانة الهوية الإفريقية من تلك الهوية، ومدى شعور أبناء الجالية بانتمائهم للمجتمع المقدسي والفلسطيني، إضافة إلى تناول التحديات التي يواجها أبناؤهم ومحاولة اقتراح حلول لتلك المشاكل والتحديات.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المصادر والمراجع المتوفرة حول الجالية الإفريقية، وما كتبه بعض أبناء الجالية عن جاليتهم، بالإضافة إلى المقابلات النصف مبنية مع بعض الشخصيات البارزة في الجالية ومع بعض الشباب.

محدوديات البحث:

لا يوجـد غحصائيـات وأرقـام دقيقـة تخـص الجاليـة الإفريقيـة، سـواء علـى المسـتوى الاقتصـادي أو الاجتماعـي أو الديمغرافـي، فغالبيـة الأرقـام والإحصائيـات الـواردة فـي البحـث هـي تقديـرات مـن شـخصيات بـارزة لـدى الجاليـة.

الخلفية النظرية

مقدمة:

الإسلام وإفريقيا

ولـد الإسـلام فـي الجزيـرة العربيـة وسـرعان مـا انتشـر فـي القـارة الإفريقيـة، إلا أن سـرعة انتشـاره فـي إفريقيـا اختلفـت مـن منطقـة إلـى أخـرى، ويديـن اليـوم مـا يقـارب نصـف سـكان القـارة بالديانـة الإسـلامية إذ يشـكلون مـا نسـبته ربـع المسـلمين فـي العالـم، وانتشـرت تبعـا لذلـك اللغـة العربيـة التـي أصبحـت لغـة رسـمية فـي عـدد منهـا كمـا هـو الحـال فـي الـدول العربيـة فـي شـمال إفريقيـا، وعلـى الرغـم

من انتشار العربية وتأثر اللغات المحلية بها في مختلف المجتمعات الإفريقية خاصة في مجال الدين والنظام والحرب والتجارة، إلا أن غالبية الأفارقة ما زالوا يتكلمون بلغاتهم المحلية.[178] وبحسب شاهين فإن الاندماج بين العرب والإسلام وإفريقيا شكل رقعة جغرافية واسعة من منطقة داكار (عاصمة السنغال اليوم) غربا إلى بور سودان شرقا مع احتفاظ بعض القبائل الإفريقية بأسمائها الأصلية أو تحريفها نتيجة تأثرها بالعربية.[179]

وصل الإسلام إلى إفريقيا تدريجيا، وذلك من خلال الهجرة العربية والفتح الإسلامي، وانتقل بعدها من شمال إفريقيا إلى جنوب الصحراء الكبرى، وذلك مع بدء قدوم الرحالة العرب من الشرق في القرن الرابع عشر، إذ كان انتقالهم لإفريقيا نتيجة لعدة أسباب أهمها: توسيع رقعة الدولة الإسلامية، وتجارة الرقيق الضخمة في ذلك الوقت، والتي كانت موجودة قبل وجود الإسلام في إفريقيا، أما السبب الثالث فهو مناجم الذهب الموجودة في غرب إفريقيا خاصة في منطقتي غانا ومالي، ولا بد من الإشارة أن الإسلام قد شجع على تحرير الرقيق وتحسين ظروف معيشتهم، كما ساهم في رفع شأنهم الاجتماعي من خلال تغيير واقع تجارة الرقيق في القارة.[180]

الأفارقة المسلمون في القدس

التسمية والألقاب

أطلق على الجالية الإفريقية قديما اسم تكارنة (وهي مفرد تكروني) ومن خلال البحث عن أصل الكلمة، لم يكن هناك معنى واضح، لكن نجد بعضا من المؤرخين ينسب الكلمة إلى مملكة تكرور (Tukulor) أي السكان المسلمين الذين عاشوا في منطقة السنغال ومجموعة أخرى في غرب مالي،[181] وفي القرن التاسع عشر أقيمت مملكة تكرور بقيادة الحاج عمر تال وهو أحد الصوفيين الذين قاموا بالجهاد في منطقة بامبارا وغيرها من المناطق في إفريقيا.[182]

أما بحسب الكاتب قوس فمصطلح تكرور أو تكروني فهو مصطلح مستخدم على نطاق واسع في منطقة الشرق الأوسط والحجاز، وذلك من أجل الإشارة للمسلمين السود من غرب إفريقيا وحوض تشاد، وكان لهذه التسمية في ممالك العصور الوسطى التي حكمت في غرب افريقيا، دلالة دينية مرتبطة بفريضة الحج، وبعدها بات استخدامها أكثر للإشارة للعرق الإفريقي. أما في البلدة القديمة في القدس فقد شاع لقب فلاتا، وهو لقب مرتبط بشيوخ قبيلة الفولاني المتدينين وغيرهم من الوجهاء من أصول غرب إفريقيا. وقد حمل اللقبان «تكرور وفلاتا » وسما سيئا ارتبط بالفقر والأمية والأوهام الدينية والتجول في الشوارع والأعمال المتدنية وغير الملائمة، وتعكس هذه الصفات وجهة نظر مالك العبيد الذي يرى في هؤلاء الأشخاص مكانة اجتماعية متدنية، وهي تعكس الصورة النمطية السلبية للتفريق الطبقي بين البشر.[183]

178 David, Robinson, Muslim societies in African history, 2004, p.27.

179 حسني، شاهين، المسلمون الأفارقة في بيت المقدس، قسم احياء التراث الإسلامي، دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس، 1984، ص 9.

180 Charmaine, Seitz, "Pilgrimage to a new self: the African quarter and its people", Jerusalem Quarterly vol. 16, 2002, p.44.

181 https://web.archive.org/web/20190425183650if_/https://www.britannica.com/topic/Tukulor

182 Anthony Appiah, and Henry Gates, eds, Encyclopedia of Africa Vol. 1. Oxford University Press on Demand, 2010.

183 Qous, pp. 123-125.

أما المؤرخ العارف، في كتابه المفصل في تاريخ القدس فقد أطلق عليهم اسم التكارنة، وأرجع هذه التسمية للمؤرخ مجير الدين الحنبلي في كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» والذي كتبه في القرن الخامس عشر الميلادي، ووصفهم العارف بأنهم السكان من العرق الإفريقي الذين جاءوا من دارفور وملحقاتها.[184] كما يطلق بعض أبناء القدس لقب عنصري اتجاه أبناء الجالية وهو لقب «عبيد» مما يشعر أبناء هذه الجالية بالتمييز،[185] أما اليوم أصبحت الغالبية تطلق عليهم «الجالية الإفريقية « وهي التسمية التي يطلقها أبناء الجالية على أنفسهم.

الطريق إلى القدس

وحسب بحث كتبه أحد أفراد الجالية الإفريقية السيد «محمود جدة « - لم يتم نشره بعد-، يرجع فيه الكاتب أسباب تواجد الأفارقة المسلمين في القدس إلى فترة الفتح العمري أي في القرن السابع الميلادي، ويرجع أسباب وصولهم للقدس إلى سببين رئيسين: الأول ديني، من أجل «تقديس الحجة « أي بعد أداء مناسك الحج في مدينة مكة المكرمة وزيارة المدينة المنورة، يقوم المسلمون الأفارقة بزيارة القدس لتقديس حجتهم، وبهذا يقوم الفرد منهم بزيارة أقدس ثلاثة أماكن لدى المسلمين. أما الثاني فهو سبب جهادي من أجل الدفاع عن المقدسات الإسلامية ضد الانتداب البريطاني، ومن ثم الاحتلال الإسرائيلي.[186] وكان للمسلم الإفريقي الذي يقوم بتقديس حجته مكانة عالية عند رجوعه إلى بلاده وبين أفراد مجتمعه، وكان يطلق عليه «حاج مقدسي».[187]

الكاتبة «باك « أيضا تربط الهجرة التي قام بها الأفارقة خاصة من غرب إفريقيا إلى الشرق الأوسط في رحلة الحج بالرحلة الصوفية وبالطريقة الصوفية التيجانية على وجه الخصوص، فرحلة الحج خلقت قنوات للتبادل الروحي والثقافي بين المسلمين في غرب أوروبا ومنطقة الشرق الأوسط، كما أن الفترة الاستعمارية في القرن التاسع عشر والعشرين غيرت نطاق وكثافة الحج، فتوفرت وسائل النقل الجماعي في هذه الفترة، وقامت أحيانا السلطات الاستعمارية بالتخطيط للحج. ويمتد طريق الحج الطويل باسم طريق السودان والذي يمتد من مدينتي «كاتسينا وكانو» الواقعتين في منطقة نيجيريا اليوم، وتمر بالمغرب العربي، كما تمر بفزان في ليبيا اليوم، ثم تمر بمصر حتى تصل الأماكن الإسلامية المقدسة المتمثلة في مكة والمدينة المنورة والقدس.

وبحسب الكاتب «ميلز « فإن الكثير من سكان غرب إفريقيا سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين، جاء بعضهم إلى القدس في فترة الحرب العالمية الأولى من أجل العمل في خط سكة الحديد وأنابيب المياه لسلاح الهندسة البريطاني، وللتسهيل على الجنرال اللنبي عبور صحراء سيناء فترة الحرب العالمية الأولى، كما أن رحلة الإنجليز عبر إفريقيا مرورا بمصر ووصولا إلى فلسطين، مهدت وسهلت مجيء الكثير من الأفارقة خاصة في ثلاثينيات القرن الماضي خاصة من: التشاديين، والسنغاليين، والسودانيين والنيجيريين إلى القدس وكان ذلك كجزء من رحلة طويلة إلى الأماكن المقدسة الإسلامية بعد زيارة مكة والمدينة.[188]

يصف الكاتب ميلز قصة «الحاج جدة « وهو مختار الجالية الإفريقية في القدس وأحد أبناء الجالية فيقول: « لقد ولدت في بنجمينا (عاصمة تشاد) لكن في ذلك الوقت أطلقوا عليها اسم فورلامي، ذهبت إلى بلدة ناطقة بلغة البيري في نيجيريا وهناك بدأت بدراسة القرآن الكريم بعدها سافرت

184 عارف، العارف، المفصل في تاريخ القدس، مكتبة الأندلس، 1951، ص241.

185 محمود، جدة، الجالية الافريقية في القدس، 2010، ص 14.

186 ذات المصدر، ص 2-1.

187 مقابلة أجريت مع السيد موسى قوس مدير جمعية الجالية الافريقية بتاريخ 5.12.2020

188 William, F.S Miles, " Black African Muslim in the Jewish State: Lessons of Colonial Nigeria for Contemporary Jerusalem ", A Journal of Opinion, Vol. 25, Cambridge University Press, 1997, p.40.

إلى جيكوا وديارو، وذهبت إلى قرية تسمى موراكاراوا والتي تقسم إلى جزء فرنسي وآخر انجليزي وبعد خمس سنوات عدت إلى بنجمينا ومكثت هناك لمدة عام».

وأكمل جدة: « بعدها سافرنا أنا وعمتي «أمينة» براً إلى السودان نحن الاثنين مشيا على الأقدام وفي بعض الأحيان ركبنا على الحمير، واستغرق منا ذلك حوالي شهرين حتى وصلنا السودان، وكان عمري حينها 15 عاما، وصلنا في النهاية إلى بلدة هيلا سيلاسي ثم وُضعنا في قارب حتى وصلنا اليمن وثم مشينا من اليمن إلى مكة. بعد أداء مناسك الحج ذهبنا من المدينة المنورة ومن ثم انطلقنا إلى القدس وقد أمضينا بعض الوقت في الأردن ومن ثم انطلقنا إلى فلسطين واستقرينا في القدس».

بعد وصول جدة إلى القدس يروي:» كان هناك بالفعل أشخاص من السودان ونيجيريا وقد أقمنا معهم، وكان أيضا آخرين من الهوسا[189] الذين جاءوا بغية الحج». ويروي جدة» كان هناك مختار باسم محمد صديق وبعد وفاته عُين شخص باسم ساني، بعدها اجتمع الناس لاختيار شخص بين جدة وبين ابن ساني، إلا أنه تم اختيار جدة مختار بسبب معرفته للغات بما فيها العربية.

وفي وصفه للجانب العائلي لزوجته يقول جدة: « ولدت زوجتي هنا في القدس، كما أن والدتها ولدت هنا أيضا، وتتحدث العربية فقط، لكن والدها كان من الفولاني وولد في نيجيريا، وقدم إلى القدس في الفترة العثمانية فتزوج والدها بوالدتها والتي أنجبت ثلاثة عشر طفلا وجميعهم ذهبوا للعيش في السعودية (ما عدا زوجته)، وأنجبت ثلاث بنات وخمس أولاد، توفي ولد منهم».[190]

في القدس

وحسب قول الكاتب قوس سكن الأفارقة مدينة القدس على مدى قرون طويلة سابقة، لكن لا يوجد الكثير من الوثائق التي توضح حالهم وعيشهم في الفترات المبكرة، أما غالبية المهاجرين الذين يعيشون اليوم في البلدة القديمة وما حولها فقد وصلوا إلى القدس في نهاية الفترة العثمانية وأثناء فترة الانتداب البريطاني لفلسطين.[191] وكانت الموجة الأولى في أواخر العهد العثماني (الذي استمر حتى عام 1917)، فيما كانت الموجة الثانية عام 1935 ، أما الموجة الثالثة والأخيرة فكانت عام 1948، وكان بعد ذلك وافدون جدد لكن بأعداد قليلة .[192]

ينحدر أبناء الجالية الإفريقية في القدس من ثماني قبائل إفريقية وهي: الفولاني، الهوسا، الكانوري (بورنو)، الزغاوة، سلامات، البرقو، كانامبو وبولالا، وتنتمي كل مجموعة من هذه القبائل إلى مجموعات لغوية مختلفة: النيجر- الكردفانيان (فولفود)، الآفروآسيوي (الهوسا) والنيلو-الصحراء (الكانوري)، وهذه المجموعات والتقسيمات ناتجة عن سيرورة تاريخية طويلة ومعقدة من الاختلاط والاندماج.[193] وتفرع من هذه العائلات أسماء عائلات أخرى وباتت تأخذ أسماء محلية وعربية.

عندما جاء الأفارقة إلى القدس قطن الكثير منهم في أحياء داخل أسوار البلدة القديمة، وعلى مقربة من المسجد الأقصى وخاصة في منطقة باب المجلس، الذي سمي لاحقا بالحي الإفريقي،

189 وهي أحد أكبر المجموعات العرقية في افريقيا ويعيشون في منطقة الساحل والسودان وشمال نيجيريا وجنوب شرق النيجر بالإضافة إلى أجزاء من تشاد وتوغو والكاميرون وغانا والغابون والسنغال ومعظم الهوسا يتركز في غرب افريقيا. كما يتحدثون اللغة الهوسية والتي تعد احدى اللغات الافروآسيوية هي تكتب بالأحرف العربية.

190 Miles, pp.40-42.

191 Qous, p.124.

192 شاهين، ص 8.

193 Qous, p.121.

[194] وقد قطن الأفارقة في رباطين هما رباط المنصوري، والذي يعود تاريخ تشييده إلى الملك المملوكي المنصور قلاوون ووقفه الملك على الفقراء من زوار القدس كما يسمى رباط قلاوون. وقد وضع على مدخل الرباط نقش بالنسخ المملوكي القديم هذه الكتابة: « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله عمّ بفضله كل شيء. وصلى الله على سيدنا محمد وآله. أمر بعمارة هذا الرباط ووقفه على الفقراء وزوار القدس الشريف مولانا السلطان الملك المنصور أبو الملك سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي أدام الله أيامه وتقبل منه. سنة أحد وثمانين وستماية». أي 1282 ميلادي. واستخدم هذا البناء بعدها سجنا في الفترة العثمانية وكان يسمى (حبس الرباط). [195]

أما الرباط الآخر الذي تقطنه الجالية فهو رباط علاء الدين الأباصيري، أو ما كان يعرف بالمدرسة الأباصيرية، وقد تم وقف المدرسة عام 1261 في فترة المماليك زمن الملك الظاهر بيبرس ولم يظهر للمكان وثيقة وقف، فكُتب محضر وقف لهذا المكان وتم تثبيته لدى حاكم الشرع في سنة 1341.[196] كما كتب على رخامة فوق مدخل البناء: « باسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما وقف الأمير علاء الدين (ايدوغدي) وقف جميع داخل هذا الباب من الأقباء والساحة على الفقراء الواردين لزيارة القدس الشريف وقفا مؤبدا سنة ستماية وست وستون». [197] أما في أواخر العهد العثماني أصبح الرباطان سجنا، وكان أحدهما للمتهمين الموقوفين الذين ينتظرون محاكمتهم، أما الآخر كان يقضي فيه المحكومون مدة محكوميتهم وكان يدعى المكان بسجن الدم، وبقي الرباطان كذلك حتى تم نقل السجن إلى المسكوبية اليوم (خارج أسوار البلدة القديمة)، بعدها أصبح الرباطان مكان سكن للأفارقة أو كما أطلق عليهم العارف التكارنة في أوائل العهد التركي أي في القرن السادس عشر [198]. وكان سبب استقرار الأفارقة في هذا المكان هو أن معظمهم كانوا يعملون سدنة وحراسا للمسجد الأقصى، وكان استقرارهم بهذا المكان بمساعدة الحاج أمين الحسيني[199] في حينها. [200]

وعمل أبناء الجالية في مجال الحراسة والشرطة في الفترة العثمانية، وأعطتهم الدولة أحقية حراسة المدارس التي كانت متواجدة في الدور والمنازل والأروقة حول المسجد الأقصى من جهتي الغرب والشمال، بالإضافة إلى حراسة بوابات المسجد الأقصى وقد قاموا بهذه المهمة على أكمل وجه وكانوا دائما مخلصين للدولة، فقد كانوا طوال القامة وأقوياء البنية، وقد كان المسيحيون والأجانب يُمنعون من دخول الحرم الشريف بما في ذلك الأمراء وملوك الدول الأجنبية إلا بإذن الحراس الأفارقة، وبحسب العارف فإن ذلك أدى إلى بروز خلاف بين متصرف القدس والتكارنة وذلك عام 1855، وكان ذلك بسبب رفضهم دخول أحد الملوك إلى المسجد، مما اضطر متصرف القدس إلى حبس التكارنة بسبب ذلك.[201]

أما بالنسبة لعدد أبناء الجالية الإفريقية، وحسب مقالة ميلز والتي صدرت عام 1997 فيعيش 20 ألف إفريقي مسلم في غزة والضفة والأردن، أما في القدس فيعيش أقل من مائة عائلة في الحي الإفريقي، ويقول الحاج جدة في ذات المقالة أن خلال فترة الانتداب كان يعيش في القدس ما يفوق الثلاثة آلاف إفريقي في الحي الإسلامي عامة، إلا أن الأعداد تناقصت ووصلت في تلك

194 Seitz, p. 47.

195 العارف

196 العارف، ص. 241-242.

197 شاهين، ص 35.

198 العارف، ص. 241-242.

199 الحاج أمين الحسيني (1895-1974) وهو أحد أبرز القيادات الفلسطينية وقد شغل مناصب مهمة من أبرزها المفتي العام للقدس، ورئيس المجلس الاسلامي الأعلى ورئيس اللجنة العربية العليا.

200 محمود، جدة، ص 4.

201 العارف، ص. 241-242.

السنة إلى ما يقارب 300 شخص.[202] ويعود سبب تناقص أعدادهم إلى انتقال جزء منهم للعيش في الأردن إبان الحكم الأردني للمدينة، واستقرار بعضهم في مدينة أريحا.[203] أما اليوم وحسب محمود جدة فإن عدد القاطنين في الحي يصل إلى 350 نسمة إضافة إلى 150 آخرين خارج الحي الإفريقي أي ما مجموعه حوالي 500 نسمة في مدينة القدس.[204]

الثقافة والمجتمع

ويرى شاهين أن الجالية الإفريقية تتمتع بعادات أصيلة وحميدة، كما أن دخولهم للدين الإسلامي أدى إلى التأثر بالعادات الاجتماعية الإسلامية التي أضيفت إلى عادات بلادهم الأصلية، ومن أهم صفات الأفارقة الزهد والمروءة والابتعاد عن الأذى والحلم، كما أنهم متقاربون في طباعهم ومبادئهم مع أبناء المدينة مسلمين ومسيحيين، كما أن هناك أواصر محبة وتآخي مع أبناء المدينة جميعا.[205]

وتتميز العلاقات بين أبناء الجالية القادمين من مناطق ودول مختلفة في إفريقيا بعلاقة وطيدة وقوية كما يفيد الكثير من أبنائها، فبالرغم من عدم وجود رابطة دم بين أبناء العائلات المختلفة، إلا أنهم يساندون بعضهم بعضا في الأفراح والأتراح والمناسبات المختلفة.[206] وتُظهر دراسة موسى قوس -التي لم تنشر بعد- الدعم والمؤازرة بين أبناء الجالية، وذلك من خلال عادة «الحطيطة» التي هي عبارة عن جمع مبلغ من المال للقيام بواجب العزاء، أوالتحضير للأفراح، أوالمشاركة بالفعاليات من خلال الإعداد والتحضير.[207]

أما الطعام فتشتهر الجالية الإفريقية بطبق العصيدة أو الويكة، الذي جاء به الأجداد الأفارقة من إفريقيا، وهو عبارة عن الملوخية المجففة أو البامية المجففة والمجروشة ويضاف عليها البهارات وخاصة الفلفل الحرّاق. وكان تناول هذه الوجبة من أهم العادات لديهم إذ كانوا يعدونها أيام الجمعة في وقت العصر، وأثناء وبعد تناول هذه الوجبة كان أبناء الجالية يجلسون للحديث والنقاش، لكن هذه العادة اختفت خلال السنوات الأخيرة ولم تعد هذه الوجبة تحضر إلا في المناسبات الاجتماعية.[208] أما من ناحية اللباس فيرتدي الأفارقة في المناسبات الزي التقليدي الإفريقي، لكن كثيرا ما يرتدون الملابس التي يلبسها أبناء القدس.[209]

202 Miles, 40-42.

203 مقابلة أجريت مع السيد موسى قوس مدير جمعية الجالية الافريقية بتاريخ 5.12.20

204 مقابلة أجريت مع السيد محمود جدة بتاريخ 8.10.2020

205 شاهين، ص 36.

206 Seitz, pp.47-48.

207 موسى، قوس، نبذة تاريخية عن الأفارقة المقدسيين، ص 23.

208 https://alarab.co.uk/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D8%A7%D8%B1%D9%82%D8%A9-%D8%A3%D8%AA%D9%88%D8%A7-%D9%84%D9%84%D8%AD%D8%AC-%D9%81%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%B1-%D8%A8%D9%87%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86

209 قوس، ص 23.

اللغة

اللغات الإفريقية غير متداولة إطلاقا في مدينة القدس اليوم، وذلك مع اندثار الجيل الأول الذي هاجر إلى القدس، كما يمكن الإشارة إلى بعض الكلمات في لغة الهوسا والتي كانت الأكثر تداولاً لدى الجيل الأول في القدس وتأثرت باللغة العربية، فمثلا كلمة اليوم : يوو/ الأب: أوبا / المرأة: ماتا / خسارة: أسارا / بعد: بايا. [210] ويتحدث أبناء الجالية اليوم اللغة العربية فقط كلغة أم، وباتوا لا يتحدثون اللغات الإفريقية المحلية مثل الهوسا أو البيري التي كان يتحدثها الأجداد. كما اندمجت الثقافة الإفريقية بثقافة المجتمع المقدسي الفلسطيني والثقافة العربية الإسلامية، وذلك بسبب انعدام التواصل بين أبناء الجالية وبين المجتمعات الإفريقية التي جاؤوا منها. [211]

مؤسسات المجتمع المدني للجالية

تعد الجالية الإفريقية من المجموعات النشيطة فقد أقامت عدة أجسام لخدمة أبنائها وبناتها ومدينة القدس، وعلى الرغم من مواجهة هذه الأجسام إلى العديد من المشاكل سواء المادية أو غيرها، إلا أن أبناء الجالية حاولوا دائما الاستمرار في العطاء، وفيما يلي تعريف بهذه الأجسام:

1. النادي الخيري السوداني

قام الأفارقة بإنشائه في أوائل عام 1935 وكان مقره في حبس الرباط وترأسه الحاج عبد الجليل إدريس، وكان يهدف إلى رفع التوعية في المجال الثقافي والصحي والاجتماعي والرياضي. [212] وأهم ما كان يُعنى به النادي هو الجانب الرياضي خاصة رياضة الملاكمة، وقد اضطر النادي إلى إغلاق أبوابه بعد احتلال الجزء الشرقي من القدس في العام 1967. [213]

210 شاهين، ص 12

211 Miles, p. 41.

212 شاهين، ص 13.

213 قوس، ص 20.

2. نادي الشباب الإفريقي

أسس في العام 1978 من أجل إعادة إحياء تجربة النادي الخيري السوداني، وقد أفسح النادي بنشاطه الجديد العضوية للمسلمين وأبناء البلدة القديمة من خارج الجالية، وترأس هذا النادي فتحي بيان، وتبعه خالد إدريس، وتبعه حسني شاهين، إلا أن النادي لم يستطع الاستمرار لأكثر من عامين ونصف وذلك بسبب الضعف في الموارد المالية.[214]

3. جمعية الجالية الإفريقية

في العام 1983 أراد أبناء الجالية مجددا القيام بتأسيس جمعية الجالية الإفريقية، إلا أنها لم تعمل بشكل فعال إلا عام 1997، وذلك بعد قيام مركز المشاريع الصغيرة وبمساعدة فيصل الحسيني[215] في حينها بترميم وتأهيل مقرها حتى يصلح للاستخدام، وما زالت الجمعية تعمل حتى يومنا هذا، وذلك بهدف مساعدة أبناء البلدة القديمة بشكل عام وأبناء الجالية بشكل خاص. [216]

4. مسجد علاء الدين البصيري

قام أبناء الجالية بإقامة مسجد داخل رباط الأمير علاء الدين البصيري المدفون بالقرب من المسجد، وكانت إقامة المسجد بتمويل من دائرة الأوقاف الإسلامية وذلك عام 1971.

النتائج والنقاش

سيقوم النقاش في هذا البحث على أساس المعلومات الموجودة في المراجع، ومن خلال المعلومات التي حصل عليها الباحث من خلال مقابلاته مع بعض الشخصيات في الجالية الافريقية: السجين المحرر والناشط في المجتمع المقدسي السيد محمود جدة، والسيد موسى قوس مدير جمعية الجالية الإفريقية. إضافة الى بعض المقابلات الشخصية مع فئة الشباب، وبناء عليه سيتم تصنيف المشاكل والتحديات التي تواجهها الجالية.

الهوية

يقول الكاتب قوس أن مجتمع الأفارقة في القدس جاء من خلفيات ومناطق مختلفة من إفريقيا، يتكلمون لغات متعددة من القارة نفسها، وكان هذا التنوع جليا بشكل أكبر في فترة الجيل الأول المهاجر إلى القدس. وقد شكلت قبيلة الهوسا القادمة من تشاد أكبر جالية إفريقية في المدينة.[217] وعلى ما يبدو، فبالرغم من هجرة أبناء الجالية من دول وقبائل مختلفة ويتكلمون لغات إفريقية مختلفة، إلا أن أبناء الجالية اليوم يشعرون بأنهم ينتمون لعائلة واحدة ويبدو ذلك من خلال عاداتهم المشتركة مثل «الحطيطة» التي ذكرت سابقا، ومن خلال التضامن بين أبناء الجالية في الأفراح والأتراح. يقول أحد أبناء الجالية 28 عاما ويعمل في مجال الخدمات: « نحن عيلة واحدة عايشين بنفس المنطقة، وكلنا منعرف بعضنا البعض وفي وقت الشدة والفرح منوقف مع بعض».

214 ذات المصدر.

215 فيصل الحسيني (1940-2001) وهو شخصية فلسطينية سياسية، كان له دور كبير في منظمة التحرير الفلسطينية، وهو مؤسس جمعية الدراسات العربية (بيت الشرق) في القدس، وكان كان مسؤولا عن ملف القدس في العام 1996 وقد استمر في لعب دور كبير في القدس حتى وفاته

216 قوس، ص 21.

217 Qous, p.122.

الهوية الفلسطينية

تطغى الهوية الفلسطينية لدى الجالية على الهوية الإفريقية، فأبناء الجالية يرون أن الهوية الفلسطينية والنضال الفلسطيني أمام الاحتلال له مركزية كبيرة في حياتهم، ويؤكد أبناء الجالية أنهم جاؤوا إلى هذه البلاد أحرارا ولم يكونوا عبيدا أو ملكا لأحد.[218]

ويمكن تصنيف أبناء الجالية إلى ثلاثة أجيال مختلفة، الجيل الأول يتمثل في آدم جدة الذي تم ذكر قصة سفره من تشاد والذي كان يعرف لغة الهوسا، وفي ما نقله قوس عن المختار جدة، وحسب قول شاهين والمقابلات فإن الكثير من الجيل الأول تزوج بنساء عربيات فلسطينيات من المجتمع المحلي.[219]

أما الجيل الثاني فيتمثل في ما كتبه محمود جدة (ابن آدم) حول هويته وما يشعره في مقال بعنوان «أنا من أنا» (لم يقم بنشره) يكتب فيه محمود ما كان يجول في خاطره عندما كان في العاشرة من العمر فيقول: « كان (أبي) يحمل الجنسية الفرنسية، وأمي أردنية ذات بشرة بيضاء ونعيش جميعا في القدس والتي تعتبر فلسطينية ولكنها تحت الحكم الأردني، أسأل نفسي هل لأن أبي إفريقي أنا إفريقي أيضا، وماذا بشأن أمي؟ فإذا اعتبرت نفسي إفريقيا فإني أشعر أني أظلم أمي، وكذلك إذا قلت عن نفسي أردنيا أو فلسطينيا فبذلك أظلم ابي، فأنا أنتمي إلى كليهما. الأمر الصعب الذي أواجهه هو أني حتى الآن لا أعرف من كان أحن علي من الآخر أهي أمي أم هو أبي؟ مرة أخرى إذا قلت أني إفريقي أظلم أمي وإذا قلت أني عربي أظلم أبي، وبقي هذا النقاش يدور بداخلي لسنوات عدة ولم أجد الحل الأمثل للخروج من هذا المأزق».

يتابع محمود جدة حول ما حصل معه من تغييرات في هويته، فبعد فترة من الزمن بدأ يشعر بتمييز اتجاه أبناء الجالية والشعور بأنهم غرباء فيقول: « طلبت من والدي أن نعود إلى تشاد فهؤلاء العرب لا يستحقون أن نعيش بينهم بعد كل ما قدم لهم الأفارقة. فصونا لكرامتنا ولنعيش كمواطنين دعنا نعود إلى تشاد». لكن بحسب محمود جدة فإنه فيقول بأن وجهة نظره للعرب قد تغيرت لاحقا: « إذًا هناك عربي جيد وهناك عربي سيء. فلماذا أنظر إلى السيء وأتنكر للجيد. وهكذا بدأت مرة أخرى بالعودة إلى رشدي وتخلصت من المشاعر البغيضة تجاه العرب والعروبة». لاحقا انضم محمود جدة إلى صفوف المقاومة الفلسطينية وقد قضى في سجون الاحتلال الإسرائيلي فترة 25 عاما بسبب نشاطه.[220]

أما جيل اليوم والمتمثل بالجيل الثالث فيبدي انتماءه بشكل كلي للهوية الفلسطينية، ومن المقابلات يمكن الاستنتاج أنه لا يوجد هناك التخبط أو التفكير الذي كان لدى أبناء الجيل الثاني، ويقول أحد الشبان 23 عاما ويعمل في مجال الخدمات: « نحن كبرنا وتربينا على أننا فلسطينية، هذه هي الهوية الي بتمثلني». وهذا الصوت تكرر في أصوات شباب وشابات قام الباحث بمقابلتهم، فهم يعتزون بانتمائهم للهوية الفلسطينية المقدسية.

مما سبق يمكن الاستنتاج أن الجيل الأول لم ينقل أو يورّث جزءا من الهوية الإفريقية إلى الجيل الثاني، والمتمثلة باللغات المحلية الإفريقية التي كان يتكلمها أبناء ذاك الجيل، أما الجيل الثاني ربما عاش البعض من أبنائه حالة تخبط في الهوية، مثلما حصل مع محمود جدة، أما اليوم فإن الجالية أكثر اندماجا داخل المجتمع المقدسي الفلسطيني، فهو بغالبيته لم يسمع اللغات الإفريقية ولم يعش في إفريقيا، وإنما انتمى للهوية الفلسطينية، ونشأ عليها في البيوت والمدارس.

218 Ibid.

219 شاهين، ص 32.

220 محمود، جدة، أنا من أنا، ص 13.

أضف إلى ذلك فإن تعزيز الهوية الوطنية يعود إلى وجود تهديد أو عدو مشترك يهدد المجتمع،[221] مما جعل أبناء الجالية يشعرون بالانتماء للهوية الفلسطينية، بل وينتمون للأحزاب الفلسطينية المختلفة مثل فتح والجبهة الشعبية، ونتيجة لذلك فإن العشرات من أبناء الجالية يقبعون داخل السجون الإسرائيلية [222] إضافة إلى بروز قيادات وطنية من الجالية مثل ناصر قوس الذي ينتمي لحركة فتح وكان مقربا من فيصل الحسيني، وهو اليوم مدير نادي الأسير الفلسطيني. فأبناء الجالية يعانون كباقي أبناء الشعب الفلسطيني من الاحتلال الإسرائيلي (وسيتم التوسع في ذلك في قسم المشاكل) فغالبيتهم يعيشون في خط الدفاع الأول عن المسجد الأقصى بحكم مكان سكنهم الملاصق له، ففي أوقات الاجتياحات للمسجد الأقصى، تتحول مناطق سكناهم لمناطق ساخنة تشهد الاشتباكات والمناوشات مع قوات الاحتلال، وفي حال فرض الحصار على البلدة القديمة أو المسجد الأقصى يكونون هم أوائل من يتأثرون بها.

مما سبق يمكن إدراج الجالية تحت مسمى أقلية متعددة الهويات بحسب نظرية التثاقف، أي أنها تنتمي للهوية الفلسطينية والإفريقية على حد سواء، ولا يمكن هنا إنكار دور الهوية الدينية المتمثلة بالإسلام، والتي كانت إحدى أهم الأسباب التي دفعت هذه الجالية بالقدوم إلى القدس، واستمر هذا الجانب الديني داخل المدينة المقدسة من خلال قيام الجالية بدور رئيس في حماية وحراسة المسجد الأقصى، كما ساهم قرب الجالية الجغرافي من المسجد الأقصى في ذلك أيضا. وهنا لا يمكن إغفال الجانب السياسي الداخلي الفلسطيني، ويبرز هذا من خلال استيعاب الجانب الفلسطيني للجالية الإفريقية والمتمثلة بخطوة الحاج أمين الحسيني حينما سمح لأبناء الجالية الإفريقية بالإقامة داخل رباطي المنصوري وعلاء الدين، وباتا يعرفان بالحي الافريقي.

وحسب نظرية بيري يمكن الافتراض بأن الجالية اختارت استراتيجية الاندماج والمشاركة الحقيقية في المجتمع المقدسي الفلسطيني، أي أن المجموعة قامت بالمشاركة والاختلاط داخل الأكثرية وبذات الوقت حافظت على أجزاء وسمات من هويتها الأصلية، والمتمثلة بالتكتل والتضامن بين جميع أبناء الجالية، ليشكلوا لأنفسهم هوية داخلية، إضافة إلى الطعام واللباس الإفريقي الذي يظهر في المناسبات.

المشاكل والتحديات

سنحاول فيما يلي استعراض أبرز المشاكل وأهم العوائق التي يعاني منها أبناء الجالية، وهي:

تضييقات الاحتلال

يعاني غالبية أبناء الجالية الذين يسكنون في رباطي المنصوري وعلاء الدين من مضايقات الاحتلال، وحسب موسى قوس، مدير جمعية الجالية الإفريقية فإن هناك حاجزا على مدخل الحي في أغلب الأوقات،[223] إذ يوجد للحي منفذان، أولهما في المدخل المؤدي إلى المسجد الأقصى وعرضه لا يتجاوز الثلاثة أمتار، ويقف عليه أفراد من الشرطة أو من جيش الاحتلال، ويستجوبون أهل الحي، والزائرين، والمصلين المتجهين للمسجد الأقصى، ويتم إزالة هذا الحاجز في ساعات الليل، إلا أن المستوطنين يدخلون إلى الحي ويحاولون استفزاز ساكنيه، وفي حال حصول اشتباك مع المستوطنين تقوم الشرطة بإعتقال أبناء الحي. أما المنفذ الآخر فهو المنفد المؤدي إلى باب

221 Adrian, Hastings, The construction of nationhood: Ethnicity, religion and nationalism. Cambridge University Press, 1997, p.111.

222 جدة، ص 13.

223 مقابلة أجريت مع السيد موسى قوس، مدير جمعية الجالية الافريقية بتاريخ 5.12.20

المجلس والمؤدي للمسجد الأقصى، وهناك حاجز يغلقه جنود الاحتلال في ساعات الليل ويقفون عليه في ساعات النهار، أي أن الحي جغرافيا محاصر كليا، مما يشعر أبناء الحي بملاحقة ومراقبة جيش الاحتلال طوال الوقت، إضافة إلى وجود كاميرات مراقبة في جميع أزقة البلدة القديمة بما في ذلك الحي الافريقي.

يضاف إلى ذلك الاعتقالات التي يتعرض لها شباب الحي، فنسبة الاعتقالات وصلت إلى 80% من أبناء الجالية، عدا عن الاقتحامات التي يقوم بها جنود الاحتلال لرباطي المنصوري وعلاء الدين وما يقومون به من تفتيش يرافقه اعتداءات جسدية على أبناء الجالية.[224]

الاضطهاد

وحسب المقابلات تحدث بعض الشباب عن تعرضهم للعنصرية من أفراد جيش الاحتلال، فهم يستطيعون تمييزهم بسهولة بسبب لون بشرتهم، يقول أحد الشبان 25 عاما ويعمل في مجال البناء: « بميزونا بسرعة من لونا وبنادوا مرات علينا بلقب كوشي وهي كلمة عنصرية ».

أما عن الاضطهاد الداخلي، فيصف شاهين أن العنصرية التي يتعرضون لها من قبل فئة من الناس في المدينة بأنها نابعة من امتداد فكر وتربية عنصرية واضطهاد الاستعمار الغربي للأفارقة، ويتجسد ذلك من خلال نعتهم بالعبيد، ويقول مثالا على ذلك أن بعض سكان القدس قد عارضوا إقامتهم في هذه المدينة المقدسة، فقد قام ثلاثة أشخاص في فترة الانتداب البريطاني بكتابة رسالة إلى المفوض السامي البريطاني يطالب بترحيل الأفارقة من القدس، وأوضح المرسلون أنهم «لا يريدون أجانب في القدس». [225]

وحسب قوس فإن مجتمع عرب إفريقيا يُنعت ضمنيًا بمصطلح «العبيد» أي سكان يتكلمون العربية من أصل أفريقي ويعيشون كمنبوذين - محاصرين اجتماعياً - في البلدة القديمة في القدس ، والذين يعتبرهم البعض أحفاد العبيد.[226] ويظهر من خلال المقابلات أن هناك انحسارا لهذه الظاهرة العنصرية تجاه أبناء الجالية، إلا أنها ما زالت موجودة لدى بعض أبناء المدينة.

وعلى الرغم من زواج الكثير من أبناء الجالية بنساء فلسطينيات، إلا أنهم يتعرضون أحيانا للرفض من بعض العائلات الفلسطينية بسبب لون بشرتهم، إلا أن ذلك آخذ بالانحسار كما يفيد أبناء الجالية أنفسهم.

الحرمان من الجواز السفر الأردني

يحمل غالبية السكان الفلسطينيين الذين يعيشون في القدس جواز السفر الأردني، فبعد احتلال الجزء الشرقي من القدس استمر الفلسطينيون بحمله، وحصلوا فقط على هوية إقامة دائمة إسرائيلية، ولم يحصلوا على جواز سفر أو جنسية إسرائيلية. [227]

224 https://www.grassrootsalquds.net/ar/community/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A9

225 شاهين، ص 39.

226 Qous, 125.

227 https://www.aljazeera.net/news/alquds/2017/8/9/%D8%AE%D8%A8%D9%8A%D8%B1-%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D9%84%D9%84%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF-%D9%88%D8%A2%D8%AE%D8%B1-%D9%84%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86

أما فيما يخص أبناء الجالية فما زال البعض منهم يعاني من عدم حصوله على جواز السفر الأردني، وحسب محمود جدة فإن رفض السلطات الأردنية إعطاءهم الجواز هو بسبب اعتبارهم «غرباء»، وحسب التقدير فإنه حتى يومنا هذا يوجد ما يقارب 60 فردا من أبناء الجالية لا يحملون جواز السفر الأردني، ويحملون فقط وثيقة السفر الإسرائيلية.[228] وهذا يعني أنه في حال رغبة هؤلاء بالسفر إلى خارج البلاد فإنهم بحاجة لتأشيرة لكل الدول التي يريدون السفر إليها وذلك عن طريق وثيقة السفر الإسرائيلية، كما أنهم لا يستطيعون السفر إلى جميع الدول التي لا تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل.

الفقر

حسب معطيات عام 2018 تصل نسبة الفقر في المدينة (سكان عرب ويهود) إلى 40% بينما تصل نسبة الفقر بين السكان العرب إلى 59%.[229] بالمقابل لا يوجد هناك معطيات دقيقة حول نسبة الفقر لدى أبناء الجالية، إلا أن غالبية المصادر (العارف، شاهين، قوس، جدة) تتحدث عن ارتفاع نسبة الفقر داخلها، ويرى قوس أن الكثير من شباب الجالية لا يستطيعون الانضمام إلى سوق العمل الإسرائيلي، لأن غالبيتهم كانوا أسرى سابقين، فهم بحاجة لشهادة حسن سير وسلوك تثبت أنهم لم يكونوا أسرى سابقين، ولم يكن لهم ملفات أمنية أو جنائية داخل المحاكم الإسرائيلية.[230]

أما فيما يخص الحي الإسلامي الذي يقطنه غالبية أبناء الجالية فيُعد من الأحياء الأكثر فقراً، وبالنظر إلى التصنيف الأخير الذي أصدرته دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية عام 2015 نجده يصنف الأحياء السكنية حسب الحالة الاجتماعية والاقتصادية للأحياء، فيتم فحص المستوى المعيشي للسكان بالإضافة إلى معدل حجم العائلة داخل البيت، والمستوى التعليمي والدخل، ويضع هذا التصنيف الأحياء على سلم من 10-1 (يكون رقم 10 هو الأعلى من حيث المستوى ورقم 1 هو الأدنى)، ومن خلال هذا التصنيف تقع الأحياء الفلسطينية في القدس بين 3-1 على أكثر حد، بينما تصل الأحياء اليهودية في المدينة إلى 8 أو 9 في بعض الأحياء. أما الحي الإسلامي فهو يقع تحت تصنيف واحد أي أنها الأدنى من حيث المستوى المعيشي.[231]

انخفاض مستوى التعليم

يعاني السكان الفلسطينيون بشكل عام من تمييز في مجال التعليم، ويتجسد هذا التمييز في الميزانيات ونقص عدد الصفوف الدراسية، وحسب معطيات جمعية حقوق المواطن فإن النقص في الغرف الصفية قد فاق 2500 غرفة صفية، بالإضافة إلى إقامة مدارس في مبان لا تتناسب مع حاجات الطلاب والمعايير الواجب توافرها. كما أن نسبة التسرب من المدارس تصل إلى أكثر من 40% وتزداد في المرحلة الثانوية لدى الطلاب الفلسطينيين في القدس.[232]

أما فيما يخص الجالية الإفريقية فيضطر الكثير من شبان وشابات الجالية مغادرة مقاعد الدراسة بهدف البحث عن فرص للعمل، وذلك لسببين رئيسيين ، الأول: مساعدة أهاليهم في الأعباء الاقتصادية الصعبة التي يعيشونها، وهذا يؤدي إلى انخفاض المستوى التعليمي لدى أبناء

228 مقابلة أجريت مع السيد محمود جدة بتاريخ 2.10.20

229 مايا، حوشن، عن معطيات القدس 2020، 2020، ص. 58.

230 قوس، ص 19.

231 https://www.cbs.gov.il/he/mediarelease/DocLib/2019/246/24_19_246b.pdf

232 https://law.acri.org.il/he/2132

الجالية،[233] فمعظمهم تركوا الدراسة قبل أن ينهوا المرحلة الثانوية، وقليلون منهم حازوا على شهادة البكالوريوس.[234] أما السبب الآخر فيوعزه موسى قوس إلى كثرة الاعتقالات في صفوف شباب الجالية الإفريقية وتعرض العديد منهم إلى الحبس المنزلي، يقول أحد الشبان 19 عاما: « كنت في مدرسة الأيتام في البلد وكان الجيش يضل يجي يدخل على المدرسة ويعتقل الشباب أو يوقفنا وهذا الاشي أثر على تعليمنا».

بحسب تقدير موسى قوس، فإن 10% فقط من أبناء العشيرة يجتازون مرحلة الثانوية ويكملون الدراسات الجامعية، وبالرغم من محاولة جمعية الجالية الإفريقية مساعدة ودعم الطلبة إلا أن ذلك لم يكن يكلل بالنجاح دائما، واليوم هناك ثلاث نساء يدرسن درجة الماجستير.[235]

الضائقة السكنية

تفرض السياسات الإسرائيلية تضييقات عديدة على السكان الفلسطينيين في السكن، وهذه المشكلة تنعكس بشكل مباشر على أبناء الجالية في أماكن معيشتهم وسكناهم سواء أكانوا داخل الرباطين أم خارجهم. وفي تقرير صادر عن مؤسسة عير عميم، فإن من بين أكثر من 200,000 وحدة سكنية مبنية وموجودة داخل مدينة القدس، فإن أقل من 25% من هذه الوحدات موجودة داخل الأحياء الفلسطينية.[236]

وتعاني منازل أبناء الجالية من الكثافة السكانية المرتفعة، وقلة التهوية وارتفاع نسبة الرطوبة وقلة تعرضها لضوء الشمس، فهذه الغرف بغالبيتها ضيقة وملتصقة ببعضها البعض، فهي لم تُبنَ لتكون سكناً عائلياً ثابتاً، بل بُنيت على أساس الغرفة الواحدة لإيواء الزائرين للمسجد الأقصى.[237] فالفقر الذي يعاني منه الكثير من أبناء الجالية لا يسمح لهم بامتلاك أو شراء سكن خارج الحي الافريقي، والكثير من الأزواج الشابة تضطر إلى تقاسم الغرف السكنية مع عوائلهم التي لا تزيد مساحة غالبيتها 3-2.5 متر. وقد يقوم بعض أبناء الجالية خاصة الأزواج الشابة باستئجار شقة خارج حدود الحي،[238] مما يزيد من الأعباء المادية لهذه العائلات الشابة. وعلى الرغم من هذه الأوضاع الصعبة إلا أن البعض من أبناء الجالية قاموا باصلاحات وترميمات داخل الرباطين، وأضافوا غرفا سكنية لأبناء الجالية، وذلك على النفقة الخاصة للسكان وبدعم من دائرة الأوقاف الإسلامية .[239] وقد تم مجددا أيضا القيام بترميمات من قبل مجلس التعاون والبناء في الساحات المكشوفة،[240] إلا أن السلطات الإسرائيلية المختلفة وخاصة سلطة الآثار والبلديات تقوم دوما بالتهديد بإزالة البناء ، ومنع الترميمات والإصلاحات، وذلك حسب ما ورد في المقابلات.

233 قوس، ص 19.
234 جدة، ص 17.
235 مقابلة أجريت مع السيد موسى قوس، مدير جمعية الجالية الافريقية بتاريخ 5.12.20
236 شرق القدس- معطيات مهمة، دراسة صادرة عن مؤسسة عير عميم، 2016، ص 2.
237 جدة، ص 6.
238 قوس، ص 19.
239 شاهين، ص 34.
240 جدة، ص 6.

الاستنتاج العام للبحث

بناء على ماسبق فإنه من الممكن ربط المشاكل التي تعاني منها الجالية بالحيز الذي يعيش فيه غالبية أبنائها، وهو حيز يعد من المناطق الأكثر سخونة وتوترا في فلسطين بامتياز، فوجود هذه الجالية داخل البلدة القديمة وعلى بوابة المسجد الأقصى يدفع بهم إلى مواجهة الكثير من التحديات والمشاكل، ومن خلال دراسة أعدتها الباحثة شلهوب- كيفوركيان على الأطفال الفلسطينيين الذين يتعرضون للاحتلال ومنظومته ويجابهونها، تعتقد شلهوب أن العنف المؤسسي من قبل إسرائيل يؤدي إلى سرقة الطفولة من خلال الممارسات الإسرائيلية، كما أن ذلك لا يقتصر على أفراد الجيش أو شرطة الاحتلال بل أيضا داخل دوائر القضاء الإسرائيلي التي تستمر في التنكيل بحق الأطفال، فعسكرة الحيز والمساحات اليومية للأطفال لا يمكنهم من ممارسة حياة روتينية، بل إنه يدفع هؤلاء الأطفال للمزيد من الاعتقال والتنكيل، وجميع هذه الظروف تؤدي إلى تأثير سلبي على الصحة والحالة النفسية للأطفال.[241]

فجميع هذه الظروف تنطبق على ما يتعرض له أبناء الجالية الإفريقية، فالحيز العام المتمثل بشوارع وزقاقات البلدة القديمة التي ينتشر فيها جنود وشرطة الاحتلال بكثرة، وإن لم يكن هناك جنود فهناك كاميرات المراقبة التي تراقب جميع أزقة البلدة القديمة دون استثناء، كل ذلك لا يضع الطفل في حالة طبيعية وطفولة طبيعية تمكنه أن يعيش بعيدا عن الضغوطات النفسية.

أما حسب النظرية البيئية الاجتماعية، فيمكن أن نأخذ ما توصلت إليه شلهوب من تأثير التنكيل والاعتقالات على الصحة النفسية للأفراد، إذ ترى أن الصحة سواء أكانت جسدية أم نفسية فإنها تعد من أهم ما يجب أن يتوفر لدى الفرد، وإن أي ضرر للفرد يؤدي إلى اختلال في البيئة التي يعيش بداخلها، لذا فإن تأثر الصحة النفسية بسبب الاعتقالات، أو الجسدية بسبب الضرب من قبل سلطات الاحتلال ضد أبناء الجالية، إضافة إلى الفقر الذي يعاني منه غالبية أبناء الجالية، والضائقة

241 Nadera, ShalhoubāKevorkian, 2015. Childhood: A universalist perspective for how Israel is using child arrest and detention to further its colonial settler project. International Journal of Applied Psychoanalytic Studies, 12(3), pp.237-238.

السكنية، وحرمان جزء منهم من الجواز السفر الأردني يضع الفرد داخل الجالية في أوضاع سيئة تحد من الاستمرار في التعليم، وتدفعه إلى التسرب من المدرسة، والانخراط في سوق العمل، أو قضاء فترة من حياته داخل سجون الاحتلال، وجميع هذه الظروف والعوائق تجعل الفرد في حالة يصعب فيها التقدم داخل سوق العمل أو داخل التعليم.

كما سبق وذكر فإن القدس استقبلت الكثير من الأعراق والإثنيات المختلفة من شتى بقاع الأرض وعلى مر التاريخ، لكن هناك سؤال ربما يجب طرحه، لماذا نجد أن بعض المجموعات اندمجت بشكل أسرع من مجموعات أخرى؟ فعلى سبيل المثال لا الحصر، لمّ استطاعت الأقلية المغاربية الاندماج في القدس بشكل أسرع من الجالية الإفريقية، على الرغم من أن كلتا المجموعتين حضرتا من ذات القارة؟

ربما تكون الإجابة على هذا السؤال في ادعاء الباحث أيزاك الذي يرى أن هناك صعوبة في التكيف وإعادة ترتيب الهويات للمجموعات التي تتعرض لظروف جديدة داخل المجتمعات، إلا أن هذه الأمور تعد أصعب وأكثر تعقيدا عندما يكون هناك اختلافات في السمات الجسدية ولون الجلد[242].

لكن هناك عدة عوامل قد تؤثر في مدى التأقلم للمجموعات أو الأقليات خاصة تلك التي قد تتعرض لإضطهاد، وأول هذه العوامل هي العوامل الشخصية (التي يصعب التطرق إليها) وثانيها العوامل الظرفية، اما الأخيرة فهي العوامل السياقية وهي التي تتمثل في الموارد الاجتماعية والضغوط وأحداث الحياة السلبية.[243]

فالعوامل الظرفية، ساهمت في وضع أبناء الجالية الذين حضروا من دول ومناطق مختلفة داخل بوتقة واحدة، وأعادت تموضعهم في مكان واحد وهو ما أصبح يطلق عليه الحي الإفريقي، مما دفعهم إلى توحيد أنفسهم وإيجاد هوية داخلية موحدة تحت مسمى الجالية الافريقية.

أما الظروف السياقية فتتمثل في السياق الذي حضر فيه غالبية أبناء الجالية الذين استقروا في مدينة القدس، وقد كان في فترة الاستعمار البريطاني واستعداد الفلسطينيين لمواجهة موجات الهجرة اليهودية إلى بلادهم، مما جعل أحد أهم الأهداف المعلنة لمجيء أبناء الجالية هو الجهاد ضد الاستعمار مما ساهم في دمجهم داخل المجتمع الفلسطيني. وما زال سياق الاستعمار والاحتلال مستمر حتى يومنا هذا، فأبناء الجالية كباقي أبناء الشعب الفلسطيني يتعرضون للظروف والمعاناة والنكبات ذاتها.

أما المشاكل والتحديات، فالكثير من المشاكل لدى أبناء الجالية تتقاطع مع مشاكل أبناء الشعب الفلسطيني عامة، وأبناء مدينة القدس خاصة، لكن باعتقادي فإن لون البشرة لأبناء الجالية زاد من مشاكلهم وكثرة اعتقالهم والتنكيل بهم لدى الاحتلال، وأدى إلى الاضطهاد الممارس ضدهم من قبل الفلسطينيين أحيانا، أضف إلى ما سبق منطقة سكنهم التي تعد منطقة حساسة جدا.

242 Harold, Isaacs, "Color in world affairs." Foreign Aff. 47 (1968): 235.

243 Aaron Ebata, and Rudolf H. Moos. "Personal, situational, and contextual correlates of coping in adolescence." Journal of research on Adolescence 4, no. 1 (1994): 99-125.

آليات وحلول مقترحة

سنحاول اقتراح حلول للتحديات بناء على النظرية البيئية الاجتماعية في مستويات مختلفة:

على مستوى المنظومة المصغرة (Microsystem):

1. العمل على محاولة رفع الوعي لدى أفراد الجالية بأهمية التعليم وجدواه لدى الفرد، وذلك من خلال تشجيع العائلة والمدرسة لأبناء الجالية لاستكمال تعليمهم، وإرشاد الأهالي حول كيفية التعامل مع أبنائهم عند خروجهم من السجن أو في فترات الحبس المنزلي.

المنظومة المتوسطة (Mesosystem):

2. انشاء لجنة لمتابعة الطلبة وما يعانونه من مشاكل في الحيز العام وداخل المدارس، وذلك لمنع تدهور حالتهم التعليمية خاصة من يتعرض منهم للاعتقال.
3. متابعة الحالة النفسية لدى الطلبة، التي قد تتأثر سلبا بسبب الاعتقال والفقر، وذلك من خلال تنظيم جلسات مع أخصائيين اجتماعيين أو نفسيين.

المنظومة المحورية (Exosystem):

4. دعم المؤسسات العاملة في الجالية، والقيام بمشاريع للتأهيل المهني لشباب الجالية الذين لم يكملوا تعليمهم وقضوا سنوات طويلة من عمرهم في سجون الاحتلال.
5. تدريب النساء والشباب العاطلين عن العمل من أجل محاولة إدماجهم في سوق العمل، وذلك بهدف رفع الدخل ورفع المستوى المعيشي لعائلات الجالية.
6. العمل مع المجتمع الفلسطيني والمقدسي على توفير فرص عمل لأبناء وبنات الجالية، بسبب تمييزهم من قبل الاحتلال على أساس نشاطهم السياسي.

المنظومة الكبيرة (Macrosystem):

7. ايجاد حلول لمشاكل أبناء الجالية وذلك بمعاونة أبناء المدينة، وذلك من خلال محاولة ايجاد مناطق سكن جديدة، ومحاولة تخفيف الفقر لدى أبنائهم.
8. زيادة الوعي لدى المجتمع الدولي بما يتعرض له أبناء الجالية خاصة، وأبناء القدس عامة من اعتقالات وتنكيل وحبس منزلي وغيره من الممارسات التي تخالف المعاهدات والاتفاقيات الدولية في شؤون حقوق الانسان.

شرائح مقدسية

KONRAD ADENAUER STIFTUNG
PALESTINIAN TERRITORIES

الرؤيا الفلسطينية
PALESTINIAN VISION

شرائح مقدسية

2020

Palestinian Vision Organisation | Al-Rashid St. Jerusalem Arab Chamber of Commerce Building - Jerusalem | Tel: 02 6285080
info@palvision.ps | www.palvision.ps

palestinian.vision | PalestinianVision | pal_vision | palvision2014 | pal-vision